مكاتبات علي عليه السلام ومعاوية في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد- مقاربة أسلوبية فنية

الدكتور
عقيل جاسم دهش
جامعة الكوفة- مركز دراسات الكوفة

مكاتبات علي عليه السلام ومعاوية في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد
- مقاربة أسلوبية فنية -

الدكتور
عقيل جاسم دهش
جامعة الكوفة- مركز دراسات الكوفة

المقدمة

كان الإمام (عليه السلام) في مكاتباته لمعاوية يشتغل على حقلين، الأول ما يتركه ذلك من أثر نفسي عظيم في نفسية العدو إذ تبدو كلماته وأسلوبه التهكمي أشد وقعا على معاوية من زبر الحديد، الثاني بث الاطمئنان وزيادة العزيمة في نفوس أصحابه لأن الحرب الكلامية لا تقلُّ شأنا عن الحرب في الميدان وأن النصر فيها يعبِّدُ الطريق الى تحقيق النصر الفعلي في ميادين القتال. ولذلك حرص الإمام (عليه السلام) على التعبير بأسلوب قوي مؤثر له وقع شديد في النفس ما من شأنه أن يفحم العدو ويلجمه ويعجزه ويعييه من جهة ويرفع الروح المعنوية لدى أصحابه ويقوي عزائمهم في الثبات للعدو واقتحام لهوات الحرب لتحقيق النصر المرتقب من جهة أخرى. ثم ليبيِّن تفاهة الدنيا وهوانها وتخبُّط الدهر وانتكاسه بأن يغدو معاوية ندا لعلي وأن يذكر اسمه صنو اسمه وأن يتكاتبا ويتحاورا ويغلظ أحدهما للآخر في كلامه ويرميه بوابل سهامه، والأمر كما يصفه ابن أبي الحديد في قوله " وأعجب وأطرب ما جاء به الدهر أن يفضي أمر علي الى أن يصير معاوية ندا له ونظيرا مماثلا يتعارضان الكتاب والجواب ويتساويان فيما يواجه به أحدهما صاحبه"، بل لقد عبَّر علي (عليه السلام) عن ذلك بكلمات تنطوي على ألم شديد وجرح عميق متعجبا أشد ما يكون العجب، شاكيا بتأوه وتوجع مما آل إليه الدهر من اقتران اسم معاوية باسمه وتصييره له ندا، يقول "فيا عجبا للدهر إذ صرت يقرن بي من لم يسع بقدمي ولم تكن له كسابقتي التي لا يدلي أحد بمثلها". وقد حاول الباحث تسليط الضوء على النواحي الأسلوبية والجوانب الفنية في نصوص

تلك المكاتبات، وتبلور ذلك في أربعة مباحث، تناول الأول دراسة أساليب (الأمر، النهي، الاستفهام، القسم، التنكير)، وتناول الثاني الجوانب التركيبية لنصوص المكاتبات المتمثلة في (التقديم، الوصل، البنية الاسمية، البنية الفعلية)، واختص الثالث بدراسة أنماط الصورة الفنية (التشبيه، الاستعارة، التضاد)، في حين اختص الرابع باستنباط دلالات صيغ الأفعال. وقد اعتمد الباحث على المنهج التحليلي لاستجلاء دلالات النصوص والكشف عن غرض المتكلم وبيان مقاصد الكلام .

م١ البحث الأسلوبي :

أسلوب الأمر :

ورد الأمر باستعمال صيغة فعل الأمر في قول علي (عليه السلام): " فاتق الله في نفسك ونازع الشيطان قيادك واصرف الى الآخرة وجهك"١

إذ أفاد الفعل (اتق) معنى الاشفاق، فالإمام (ع)- وهكذا دأبه- مشفق على أعدائه إشفاقا شديدا يخشى أن يدخلوا النار بسببه حريص كل الحرص على هدايتهم وإعانتهم على أنفسهم وتحريرهم من اتباع الهوى ومكائد الشيطان ورفع حجب الغواية والضلال عنهم، وكأنه يقول لخصمه معاوية: اشفق على نفسك فلا تلقينَّ بها في درك الجحيم في سعيك وراءالأماني المضللة واتباعك العقائد الفاسدة المنحرفة، في حين خرج الفعل (نازع) الى معنى النهي، أي لا تمكِّن الشيطان من نفسك فيسوقك كما تساق النعاج قهرا وسلبا وإذلالا، قهرا لإرادتك وسلبا لإنسانيتك وإذلالا لكبريائك، ولا يخفى ما في (نازع) من دلالات نفسية إيحائية ومقاصد تربوية تكشف عن حدَّة الصراع وشدَّة مجاهدة النفس وكبح جماحها من جهة وتدفع من جهة أخرى الى التفاؤل والعمل الجاد واستشعار ملامح النصر بقوَّة الإرادة الصلبة لكسر إرادة الشيطان وتحقيق التغيُّر السلوكي المرتقب، أما الفعل (اصرف) فقد جيء به للدلالة على الندب، وقد أفاد تقديم متعلق الفعل الجار والمجرور (الى الآخرة) على معموله المفعول به (وجهك) معنى

الاختصاص، أي ليكن قصدك وغايتك طلب الآخرة دون سواها واحتقار الدنيا مهما عظمت فيها المغريات ولتعرضنً عنها إن هي أقبلت عليك فإنها دار الشقاء وأقبل بوجهك نحو الآخرة فإنها دار البقاء. ولّما كان الأمر ممّا لا شك فيه يتطلّب ترويضا للنفس وقهرها على مجانبة الهوى وتغييرا في المواقف وتصحيحا للمعتقدات استدعى استعمال البنية الفعلية في الجمل الثلاث للدلالة على ذلك التحوّل المنشود.

وقوله " فدع الناس جانبا واخرج إلي وأعف الفريقين عن القتال"٢إذ استعمل الفعلان (دع، أعف) للدلالة على التمني في استعمل الفعل (اخرج) للدلالة على التعجيز.

إذ يحرص الإمام في أغلب مكاتباته على تعريض الخصم لقدر كبير من الضغط النفسي لعلمه اليقيني بأنه مهزوز من الداخل لادعائه أمرا ليس له وركوبه مركبا صعبا يوشك أن يطيح به وبملكه الى الهاوية ويعطف به الى حيث مصرعه وبطلان إحدوثته، محذرا إياه في هذا النص أن يسوّل له غروره أو تبلغ به أحلامه المريضة وأمانيه المضللة فيتمادى في غيِّه ويغترَّ بما عنده من ملك أو جاه أو أتباع، فأين أنت من هذا الأمر ولم يكن لك قدم سابق ولا شرف باسق فضلا عن نفاقك وانغماسك في الغواية والضلال؟، وهو قوله "فاقعس عن هذا الأمر" و "متى كنتم ساسة الرعية وولاة الأمر؟"، فضلا عن تعريته من الهالة التي يحيط بها نفسه، أمام جيشه المغرر به المغلوب على أمره، فلطالما كان معاوية يدعي بأنه رجل سياسة وحرب ودهاء وحزم وأنه لم يكن يوما مترددا في أمر ولا متوانيا عن سؤدد وفضل وأنه لم يزل يسوس الأمر برويَّة وحلم ويعالج المواقف بتعقُّل وحنكة وأنه "من يزن الجبال حلمه ويفصل بين أهل الشك علمه"٣!!. لقد كان الإمام حريصا كل الحرص على حقن دماء المسلمين وحسم الصراع بالطرق السلمية أو بأقل الخسائر، مع صلابة موقفه ويقينه من تحقيق النصر، لكونه ذا نفس كبيرة لا تعرف للحقد وجها ولا طريقا وهو صاحب مبادئ سامية وأهداف رسالية لا يفكر بنصر مادي أو ملك زائل وإنما يتطلع الى ما ادخره الله تعالى عنده

للأولياء والصالحين، فكان في كل خطوة يخطوها يطلب فيها وجه الله ويراعي فيها أحكام الشريعة المقدسة، ولذلك نجده مُلحّا في الطلب الى معاوية أن يخرج إليه لتضع الحرب أوزارها أيّا كانت نتيجة المواجهة بينهما، وهو دائم الوعظ والتذكير له بأن ملكه لن يدوم وأنه يوشك أن يقف بين يدي الله للحساب، ولتأكيد هذا المعنى يعمد الى استعارة خلع الثياب لزوال الملك والنعمة في قوله "وكيف أنت صانع إذا تكشفت عنك جلابيب ما أنت فيه؟" لكونهما أي الثياب والملك شيئا عارضا يبلى جديده ولا يدوم حسنه، وإن الثياب تستر بدن الإنسان وتجمِّله فإذا ما خلعها انكشفت عورته وبانت سوأته فكذلك زخرف الدنيا ونعيمها الزائل وملكها الفاني يوشك أن يزول عنك ويفسد عليك الدهر أمرك فيخلع عنك ما ألبسك إياه من ملك أو جاه أو سلطان ويعرِّيك مما أنت فيه كما يُعرّى الجسد حين تنزع عنه ثيابه.

وفي أعراف الحرب أن المقاتل إذا دعي للمنازلة الفردية لبّى حتى لو كلَّفه ذلك حياته وإلاّ لحقه عار وسُبَّة لا يبارحانه مدى الدهر فكيف بمن يكون قائدا أو أميرا وهو يتوارى بين جنده ولا يجرؤ على مواجهة خصمه؟!. ولم يكن يخفى على الإمام أن هذا مطلبا بعيد المنال لأن خصمه بكل الحسابات والقراءات سوف لن يجيبه الى ما يسعى إليه من حسم الصراع بالمواجهة الفردية لكونه أولا ليس معدودا في صفوف الفرسان أو ممَّن لهم شأن في الحروب ثم إنه ثانيا يطلب الدنيا بكل ما أوتي من مكر ودهاء ومراوغة ويتطلَّع دوما الى تثبيت إمارته وتعزيز ملكه، ومن هذه سماته أو توجهاته لا يفكِّر في مغامرة أو حميَّة أو مروءة ولا تابى عليه نفسه إذا ما تطلَّب الأمر فرارا في ميدان أو إحجاما عن مواجهة أو نكوصا عن موقف أو مبدأ مقدَّس، ولكن الإمام كان يسعى دوما الى أن يبيِّن لأتباعه ومؤيديه توانيه وعجزه عن المواجهة وأنه لا يتوانى عن التغرير بجنده والزج بهم في الميدان لأحقاد شخصية مريضة ومكاسب دنيوية دنيئة تتمثل في الدفاع عن إمارته وملكه.

أسلوب النهي :

ورد النهي في قول علي (عليه السلام):" فلا تجعلنَّ للشيطان فيك نصيبا"٤.

إن فساد عقيدتك- يا معاوية- وضعف إرادتك وخروجك عن جادة الحق هيَّأ لك أن تتيه في طرق متشعبة مضللة وأن تتنازع فيك أهواء كثيرة بحب الظروف والأحوال فتمكَّن الشيطان منك وغدا يسيطر على أنظمة اتخاذ القرارات لديك وإذا به يقترع عليك بسهم ويضرب فيك بنصيب وقد ناخ جملك ليمتطيه ويسوقه الى حيث يشاء!، وقد جاء استعمال حرف الجر بحسب ما يتطلبه المعنى المقصود وما يقتضيه سياق الكلام إذ دلَّت (في) على الظرفية المجازية في حين أفادت (على) الدلالة على الاستعلاء المعنوي. ولا شك في أن استعمال الصيغة المضارعة ودخول نون التوكيد على الفعل يدلان على أنه باق على غيِّه مستمر في عناده، ولذلك جاء النهي لتوبيخه على صدور الفعل منه ودوامه عليه، وفي ذلك يقول ابن أبي الحديد: المعنى لا تستلزم من أفعالك ما يدوم به كون الشيطان ضاربا فيك بسهم وأراد نهيه عن دوام ذلك واستمراره٥. بمعنى أنه لا ينبغي أن يستحوذ عليك الشيطان ويعمي بصيرتك فيستوي عندك المحق والمبطل والمهاجر والطليق والمؤمن والمنافق والعزيز والذليل والصريح واللصيق، فارجع عن غيِّك وضلالك ولا تبتغي ما ليس لك وابق على نفسك وكن حيث أراد الله لك وخالف هواك ولا تمكِّن الشيطان من قيادك وادخل فيما دخلت فيه جماعة المسلمين لعلك تبصر طريق الحق وتتبع سبيل المؤمنين. وقد جاء التوكيد بالنون في سياق النهي زيادة في الإنكار عليه وتمكينا له من نفسه لحقن دماء المسلمين وتوحيد كلمتهم، وقد قدَّم المفعول الثاني (فيك) على المفعول الأول (نصيبا) للاختصاص لأنه بصدد توبيخه ودفعه اتجاه مراجعة الذات وتصحيح المسار وتهذيب السلوك، وقد خصَّ النفس في قوله (ولا على نفسك) لكونها هي المسؤولة عن إدارة غرائز الإنسان وطباعه وتوجيه نزعاته الانفعالية، ولعله أراد (نفسك الأمارة بالسوء) وهي أقرب الطرق التي تؤدي الى إغوائه وضلاله، والسبيل هوأن يستجيب الإنسان لوسوسة الشيطان ويسلم له قياده فيسوقه الى حيث هلاكه وسوء عاقبته .

وفي قوله " ولا تمكن الغواة من سمعك"٦.

إذ خرج النهي عن معناه الحقيقي للدلالة على الوعظ والإرشاد وإسداء النصيحة للعدو وإن كان قد لجَّ بعدائه له وتعبَّد ببغضه وشنآنه إياه وتفاخره بمقته والحقد عليه لعله يعود الى رشده ويقلع عن غيِّه وأن يباشر بتصحيح عقائده الفاسدة والتخلي عن أمانيه الضالة وأحلامه الشيطانية المجنونة. ويحتمل أن يكون أراد به التوبيخ، أي لقد قربت إليك الغواة ومكنتهم من سمعك فجرُّوا عليك الويلات وحمَّلوك ما لا تطيق حمله ولم يكن يجدر بك فعل ذلك من الاستماع لهم والعمل بمشورتهم، وبوسعك الآن تدارك ما فرطت به وأن تلملم ما شتَّته وترقِّع ما فتقته وأن تتنبَّه لأراجيف من حولك من حاشيتك ومقربيك وأصحاب المشور لديك ومكائدهم وأطماعهم وإقبالهم على الدنيا ونهمهم بالمناصب وشغفهم بالمال والسلطان، وإن لم ترعو عن هذا الأمر وما جرَّه عليك من المفاسد فقد حقَّ عليك الوعيد بما لججت في عنادك وحكَّمت هوى نفسك وأنخت ظهرك لشيطانك وأسلمت له قيادك " وبلغ فيك أمله وجرى منك مجرى الروح والدم". ولا شك أن هؤلاء النفر المقربين منك يزينون لك أفعالك ويسوِّغون لك جورك واستعبادك للرعية ويقربون منك البعيد ويبعدون عنك القريب بأكاذيبهم ودسائسهم وافتراءاتهم وما تمليه عليهم أهواؤهم وما تقتضيه مصالحهم وأطماعهم، وهم يباركون لك خروجك على وحدة الصف والجماعة وتمردك على خليفة رسول الله (صلى الله عليه وآله) وتنصلك عن البيعة له وقد تأمرت على الرعية وتصرفت بالأموال وكأنها إرث أو غنيمة لك ولحاشيتك ورهطك وأرسيت في رقعة من بلاد المسلمين دعائم ملك عضوض. إن هؤلاء لكي تستقيم لهم الأمور وتقبل عليهم الدنيا بكل ملذاتها وزخرفها فإنهم لا يفتأون يلهجون بذكر محاسنك والتغني بمناقبك وإن لم تكن لك محاسن ومناقب! ويخفون عنك عيوبك وأخطائك ويصورون لك الحق في صورة الباطل والباطل في صورة الحق لينالوا عندك الحظوة والقربى ويكسبوا ثقتك بهم ورضاك عنهم ويظفروا بالامتيازات الخاصة والمناصب المرموقة، وهم في العادة يخلعون عليك وعلى أنفسهم رداء

الدين والصلاح ويدَّعون لك ولهم العلم والفضيلة ويجترئون على الله بالمعاصي والآثام ويفترون على عباده الكذب وهم يعلمون، فهؤلاء هم عبيد الدنيا وأعداء الدين وقد ابتاعوا دنياهم بآخرتهم وقد نصبوا العداء لنا أهل البيت وشهروا في وجوهنا سيوف البغي وتنكروا لكل القيم الأصيلة والمبادئ الإنسانية السامية .

كما ورد النهي في قول معاوية: " ولا تستبعدنَّها فكل ما هو آت قريب"٧.

إذ خرج عن معناه الحقيقي للدلالة على التهديد بما هو آت من ريح عاتية أو عاصفة مدوية ومن وقعة عظيمة حامية الوطيس بقصد التنكيل بجيش الإمام (عليه السلام) وضرب دفاعاته الأمامية- كما يقال- لإضعاف قوته وتبديد عزيمته وتفكيك لحمته وقتل الروح المعنوية لديه، مستثمرا تباطؤ الإمام عن مباشرة القتال للتأثير النفسي على أصحابه. ويبدو أن الإمام (عليه السلام) كان يعوِّل، في تباطئه على أحد أربعة أمور هي :

- انطلاقا من مبدأ راسخ،طالما تبناه الإمام وتمثله كمنهج عمل استراتيجي مع اختلاف الظروف والأحوال، وهو (حسم نتيجة الصراع لصالحه بأقل الخسائر)، عمل الإمام على إتاحة الفرصة للحل الدبلوماسي أو السلمي وتجنيب المسلمين الاقتتال فيما بينهم بتوضيح الحقائق ووفضح زيف معاوية وأكاذيبه مستفيدا مما يحظى به أصحابه من المهاجرين والأنصار من مكانة عظيمة وتأريخ مشرف في الإسلام وما يمتلكونه من علم وفقه ودراية وقدرة على المناظرة والاقناع للعمل على دفع التهم ورد الشبهات وإظهار الحق في محاولة لإقناع أكبر قدر ممكن من القوم، لا سيما قادة الجيش وزعماء القبائل، وحثِّهم على الالتحاق بجيش الإمام أو التخلي- في أقل تقدير- عن معاوية والتزام جانب الحياد.
- الحرص كل الحرص على هداية نفر من القوم ممن أكرهوا على الالتحاق بجيش العدو أو غرِّر بهم أو ممن عمل الإعلام الأموي بكل وسائله وأدواته على تضليلهم وتزييف الحقائق بالنسبة لهم وترويج الأكاذيب والافتراءات وإشاعتها في صفوفهم ذلك ببيان سلامة موقفه وتأكيد أحقِّيَّته بالخلافة

وتذكيرهم بماضيه المشرف وجهاده الطويل وخدماته الجليلة لإعلاء راية الإسلام وتوطيد أركانه.

- إتاحة الفرصة لاتحاق جماعة أخرى من عامة الناس في صفوف جيش الإمام لتقليل الهوة الكبيرة بين الجيشين من حيث العدد لكون تعداد جيش العدو يربو على ضعف جيش الإمام.
- زيادة الضغط النفسي في صفوف جيش العدو بإطالة زمن الحرب، وذلك أن الزمن في العادة يكون في صالح أصحاب الحق لأن الطرف الآخر من أصحاب البغي والضلالة يخشون بمرور الوقت أن ينكشف أمرهم ويفتضح نفاقهم ويتفرق الناس عنهم، ولذلك هم أكثر حرصا على استثمار العامل الزمني إذا ما أرادوا حسم نتيجة الصراع لصالحهم.

أسلوب الاستفهام:

ورد الاستفهام باستعمال الاسم (كيف) في قول علي (عليه السلام): "وكيف أنت صانع إذا تكشفت عنك جلابيب ما أنت فيه"٨إذ خرج الاستفهام عن معناه الحقيقي لإفادة معنى مجازي هو التوبيخ لنكتة بلاغية، فليس غرض المتكلم السؤال عن الكيفية التي يتصرف بها المخاطب إذا سلبته الدنيا ما أعطته إياه وأدبرت عنه بعدما أقبلت عليه وعرته مما يتمتع به من سلطان زائف وملك زائل، وإنما الغرض أن يتنبه ويتدبر ويعيد النظر في عناده ومكابرته ويعزف عن غيه ويعود الى رشده، أي ما كان عليك أن تنخدع بزخرف الدنيا الكاذب وأن تنقاد لهوى نفسك وتكون أسيرا لغرورك واختيالك متماديا في ضلالك وغوايتك.

كما ورد الاستفهام باستعمال الاسم (أي) في قوله "فدع الناس جانبا واخرج إلي وأعف الفريقين من القتال لتعلم أينا المرين على قلبه"٩

الرين في اللغة هو الصدأ الذي يعلو السيف والمرآة، وران الثوب رينا إذا تطبّع وران الذنب على قلبه أي غلب عليه وغطاه وكلُّ ما غطى شيئا فقد ران عليه، وذكر ابن الأثير أن الطبع هو الرين وذهب مجاهد الى أن الرين أيسر من الطبع والطبع أيسر من الإقفال١٠، وهو قريب من قوله: ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾

﴿ (١١، قال الزمخشري: أي ركبها كما يركب الصدأ وغلب عليها فلا تقبل الخير ولا تميل إليه١٢، والذي يظهر من السياق أن الإمام يشير الى شيء أشد من الختم أو التغطية وكأنه يشير الى تلف القلب وتفسخه وانحلاله.ولم يكن الاستفهام مقصودا به السؤال عن أي منهما المخبر عنه بأنه (مرين على قلبه) ليجاب عنه بـ (أنت أو أنا) وإنما سياق الكلام يقتضي أن المخبر عنه هو المخاطب لا غير وأنه هو الموصوف بهذا الوصف، أي أنالاستفهام خرج الى معنى مجازي، وأكبر الظن أنه أراد به التهديد والوعيد بدلالة تكرار صيغة الأمر ثلاث مرات في قوله (دع- اخرج- أعف)، وقد جاء الوعيد في قبال دعوة معاوية إياه الى الحرب في كتاب سطَّره إليه متعجبا من شدة الرين على قلب الإمام وغفلته عن قبول الحق ساخرا من توانيه عن الحرب وجزعه عند المواجهة!!، وهو قوله" فما أعظم الرين على قلبك والغطاء على بصرك... فشمر للحرب واصبر للضرب"١٣، أقول جاء الوعيد في معرض جواب الإمام (عليه السلام) على كتاب معاوية هذا وكشفزيف تحديه وعزمه على المواجهة وبيان مدى جبنه ونكوصه عن لقاء خصمه ومواجهة الإمام (عليه السلام)في الحرب، فهي دعوى كاذبة يقصد منها رفع معنويات الجيش وإيهامهم بأنه يستحق أن يكون ندا للإمام وأن يقف قباله في ساحات القتال، وقد بلغت جرأته وتماديه في الضلال أن يصف الإمام بالمطبوع على قلبه١٤، والطبع في اللغة التغطية على الشيء والاستيثاق من أن يدخله شيء١٥،وأراد المعاند الذي أعمى الله بصيرته فلا يأتي بخير، فاستحق هذا الكلام ردا عنيفا من الإمام ليكشف كذبه وضلاله ويجدد دعواته المتكررة إياه بالخروج إليه ولقائه في الحرب وجها لوجه فأخرج الكلام مخرج الوعيد والتهديد وقد رد عليه ادعاءه باستعمال أسلوب الاستفهام للتعبير عن الثقة العالية بالنفس من جهة ولبث الرعب والهلع في نفس المخاطب من جهة أخرى، بعد أن اتضح كذبه وافتضح أمره ورد كيده الى نحره، مستخفا به معرِّضا إياه لمثير نفسي حاد، وهو ملاقاة علي في الميدان، كاشفا عن ضعفه وقلة حيلته وفقدانه أهلية القيادة ومؤهلات الإمارة ويقينه ببطلان دعواه وعدم جدِّيَّته في الإصرار على مباشرة الحرب والصبر على القتال.

أسلوب القسم :

- **القسم بلفظ الجلالة** :

ورد القسم بلفظ الجلالة في قول علي (عليه السلام): " فإنك والله الأغلف القلب المقارب العقل"١٦

إن القسم وإن كان أسلوبا مألوفا في كلام العرب وإنه قد يأتي في كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) جريا على أساليب العرب في كلامها ولكن كانت له في هذا الموضع وظيفة مزدوجة، نفسية تتمثل في تخويف المخاطب وبث الرعب في نفسه بتأكيد ضلاله وعمى بصيرته وسوء عاقبته، ونحوية تتمثل في تأكيد صدق ادعائه وهو كون المخاطب من المطبوعين على قلوبهم، قال ابن أبي الحديد: الأغلف القلب الذي لا بصيرة له كأن قلبه في غلاف والمقارب العقل الذي ليس عقله بجيد١٧، وفيه إشارة الى قوله تعالى : ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ ﴾ (١٨، قال أبو حيان: وقولهم (قلوبنا غلف) أي في حجب فهي لا تفهم وقد أخبر الله تعالى أنه قد طبع عليها بسبب كفرهم١٩.وخُصَّ القسم بلفظ الجلالة لكونه أقوى أساليب القسم، وهو ما يحتاج إليه الكلام لأنه في معرض إبطال التهمة وردها على صاحبها، إذ كان معاوية قد وصف الإمام بأنه مطبوعٍ على قلبه في كتاب وجَّهه إليه فجاء الرد على طريقة (رمتني بدائها وانسلت) ليبين الإمام (عليه السلام) حقيقة جهل هذا الرجل وعناده واستكباره ووقاحته إذ بلغ من هذه الصفات مبلغا عظيما جعله يسمُ عليا بهذا الوصف وهو يعلم قدره ومكانته في الإسلام، لذلك نجد أن الإمام يعمد الى تأكيد نفاق معاوية وتدليسه على الناس وأنه رجل كلام لا رجل أفعال في الميدان متعجبا غاية التعجب من تطاوله عليه وهو قوله "فما أبعد قولك عن فعلك!"، فضلا عن تذكير المخاطب بالله وأنه هو الحكم العدل الذي سيقضي بينهما في ذلك اليوم الذي يحشر فيه الناس للحساب وأنه إن استطاع بضلاله ومكره أن يروِّج للباطل أو يحوز أمرا دنيويا فإنه سوف يساق بين يدي الله عز وجل الذي لا يخفى عليه شيء وسيحاسبه على ما جنت يداه من سوء مكره وضلاله، وفيه نكتة

أخرى وهي أن الله تعالى هو الذي طبع على قلب معاوية لما رأى من ضلاله وعناده ولذلك جاء القسم بلفظ الجلالة مصداقا لقوله تعالى ﭽ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﭼ٢٠.وقد جاء الخبر اسم تفضيل لذم المخاطب والدلالة على زيادة نقص فيه ثم عرّفه بـ (أل) لبيان كمال الوصف في المخاطب وتأكيد اتصافه به أي أن هذا الوصف وإن أمكن إطلاقه على غير المخاطب إلاّ إن المخاطب أجدر من غيره بأن يوصف به لكونه قد فاق من سواه في ثبوت الوصف له ودلالته عليه وبلوغه أعلى درجات كمال الاتصاف به أي لقد بلغ الطبع على قلبه حدَّ الكمال وصار حريا بأن يوصف بهذا الوصف دون سواه.

كما ورد في قول معاوية: " فشمر للحرب واصبر للضرب فوالله ليرجعن الأمر الى ما علمت"٢١

يأتي النص في سياق المجالدة الكلامية في ظل الاستعداد للحرب أو المجالدة الميدانية، وهو خطاب مشحون بالانفعال والضجيج كالذي يحدث في ساحة الحرب من المنازلات الكلامية التي تسبق منازلة القتال ومجالدة السيوف، وكان الإمام (عليه السلام) قد عيَّره بكفر آبائه وعدائهم للإسلام ومحاولاتهم عبثا وأد الدين الجديد وإطفاء نور الله ثم ذكَّره بعاقبته التي سيؤول إليها ومصيره المحتوم في نار جهنم جزاء بما جنته يداه من النفاق ومعاداة أولياء الله وادعائه ما ليس له وتسلطه على رقاب المؤمنين، فما كان من معاوية إلاّ أن ينتفض لنفسه ويحاول عبثا أن يجاري عليا في ثقته بنفسه وقوَّة حجته فلم يجد بدا من أن يتوَّعده بحرب ضروس ويحثُّه على الصبر على ضرب السيوف والثبات لأصحابه في الميدان، وجاء القسم لتأكيد أن الحسم سيكون لصالحه وأنه لا محالة سيعتلي كرسي الخلافة، وتطلَّب منه هذا الادعاء أن يعزِّزه بأقوى أساليب القسم في ظل هذا الجو الانفعالي الصاخب والتحدي غير المسبوق، إذ لم يسبق لمعاوية الصبر في الميدان ومواجهة الخصوموجها لوجه فكيف والخصم كرار غير فرار ليث الوغى وأخو الحرب، وهي محاولة لإظهار شيء من الثقة بالنفس من خلال الاحتكام الى النزال في الميدان.

- **القسم بألفاظ يغلب استعمالها في القسم :**

ورد القسم باللفظ (عَمْرُ) في قول علي (عليه السلام): " ولعمري ليتمنَّ النور على كرهك"٢٢

ويأتي استعمال الإمام لهذا اللفظ في القسم جريا على أساليب العرب في كلامهم فهو من الألفاظ التي يغلب استعمالها في القسم، وجاء هذا اللفظ في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ (٢٣، والإمام هنا يقسم بحياته صادقا بأن الله سيتمُّ نور الإمامة كما أتمَّ نور النبوة، فقد تكفَّل الله بنصرة المؤمنين كما نصر محمدا وأصحابه على قومهم حين تمادوا في شركهم وضلالهم وأتم نور الإسلام رغم أنوفهم وأعلى كلمة التوحيد وهم كارهون، وهذا وعد وعده الله عباده المؤمنين في قوله تعالى: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ (٢٤، وإنك يا معاوية مهما طال بك المقام ودالت لك الأمور وصفا لك الملك ستفتضح بجريرتك وتجازى بعملك في إشارة الى قوله تعالى ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ ۖ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِبَغْيِهِمْ ۖ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿١٤٦﴾ ﴾ (٢٥)وقوله: ﴿ فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ (٢٦)، ويأتي هذا بقصد الاستفزاز وممارسة الضغط النفسي على الخصم من خلال الظهور بمظهر القوة والثقة العالية بالنفس.

- **القسم بالفعل :**

ورد القسم بالفعل المضارع (أقسم) في قول علي (عليه السلام): " وأقسم بالله أنه لولا بعض الاستبقاء وصلت مني إليك قوارع"٢٧

إذ يلجأ الإمام (عليه السلام) الى التغليظ والتشديد على الخصم لتماديه في غيِّه وعناده، وسنجد أن الإمام يصرح بهذا التمادي ويؤكده في قوله (واعلم أن الشيطان قد ثبطك على أن تراجع أحسن أمورك وتأذن لمقال نصيحك، أي أن شيطانك يا معاوية قد استولى عليك وحكَّم رأيه فيك فقعد بك عن تدارك ما

ضيَّعته وترقِّع ما فتقته وصمَّ أذنيك عن سماع الموعظة والأخذ بالنصيحة، أقول يلجأ الإمام الى التغليظ فيستعمل الفعل (أقسم) لصرف الذهن الى التذكر بما سيأتي وتنبيه الخم بأنه لم يزل جانحا الى السلم مستبقيا على اللحمة مراعيا للرحم والقربى مغلِّبا الرويَّة على السيف والحلم على الحزم والشدة خوفا من تشتت وحدة الكلمة وتفرُّق اجتماع الأمة مؤملا أن تعود يا معاوية الى رشدك وتكفَّ عن غيِّك وتبقي على جماعتك، ولذلك جاء جواب (لولا) بلهجة شديدة متوعدا إياه بصولاته وحملاته المشهورة ليستولي على جوانح نفسه ويُطيِّر لبَّه عن مستقرِّه باستعمال المجاز العقلي بإسناد الفعل (وصلت) الى ما لا يعقل (قوارع) وهذا أبلغ في الدلالة على المعنى وتأكيده وأشد تأثيرا في النفس ثم تقديم متعلق الفعل (مني) للعناية والاهتمام ثم استعمال الصيغة المضارعة في (تقرع) و (تنهس) لامتداد أثرها الى زمن بعيد، ثم إنها قوارع أو صولات يتلو بعضها بعضا، وكل ذلك يأتي بدافع تحطيم معنويات الخصم وزعزعة ثقته بنفسه وهي إجراءات احترازية يلجأ إليها القائد المحنَّك قبل بدء الحملات العسكرية لتفعل فعلها في إضعاف الخصم في الميدان وإجباره على الفرار أو التراجع لحسم نتيجة النزاع بأقل الخسائر الممكنة. وذهب ابن أبي الحديد الى أنه أراد بالقوارع شهادة نفر من الصحابة بلعن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في حياته لمعاوية ونعته بالكفر والنفاق ولو واجه بها أهل الشام لانتهس لحمه ولكنه آثر الإبقاء عليه والعدول عن ذلك لأمر يعلمه ومصلحة يقدرها٢٨.

أسلوب التنكير:

ورد استعمال النكرة (ذاكر) في قول علي (عليه السلام): " لذكر ذاكر فضائل جمة"٢٩

الذكر في اللغة هو الحفظ للشيء وجري الشيء على اللسان وإظهاره، والذكر كذلك الصيت والشرف، والمجُّ هو القذف ومجَّ الشراب يمجُّه مجّا أي رماه ومجَّ بريقه إذا لفظه٣٠. والذاكر لفظ يتَّسع لدلالات متعددة محتملة، فهو المتكلم الذي يخبر عن مقاصده بالقول والكلام وهو الذي يروي الأخبار ويحفظها وهو المؤمن

الذي يلهج لسانه بتقديس الله وتسبيحه وتمجيد صفاته وأفعاله وهو المعتبر بغيره قولا وفعلا، وبحسب ذلك يكون الإمام (عليه السلام) قد عمد الى استعمال الجناس في قوله (ذكر ذاكر) لتكثيف المعنى وفتح آفاق الذهن للوقوف على مقاصد الكلام فضلا عن تحقيق قدر أكبر من التشاكل الصوتي الجميل والانسجام التعبيري العالي. وجاءت النكرة (ذاكر)، التي يقصد بها نفسه، للدلالة على التعظيم لكونه في معرض التحدي وفي مقام الترجيح والتفاضل وإثبات السبق والمنزلة وإنزال الناس منازلهم وترتيبهم في طبقاتهم، ألا ترى أن النص مفعم بقرائن الترجيح والمفاضلة نحو قوله (أفضل الناس) و (الفاضل والمفضول) و (التمييز بين المهاجرين) و (سيد الشهداء) و (تتأخر حيث أخرك القدر) ٣١. ولعله أتى بـ (ذاكر) وأراد (ذكير) وهو الرجل الأبي ذو الشرف والمنزلة ومن له الصيت والثناء. ويُظهر النص مدى تمسُّك الإمام (عليه السلام) بالنصوص القرآنية والتزامه بأحكام السماء وبلوغه الدرجة القصوى في ترويضه لنفسه بإعراضه عن ذكر فضائله وإظهارها والتفاخر بها لثبوت النهي عن تزكية الإنسان لنفسه والثناء عليها في إشارة الى قوله تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِۚ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْۖ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾ ﴾ (٣٢)، أي لولا ما تقدم من النهي لحدَّثتكم بفضائلي ومناقبي وأظهرتها بين الناس حتى تلهج بذكرها الألسن ويتناقلها الرواة والمحدِّثون، وقوله (تعرفها قلوب المؤمنين) لكونها مما هو معلوم متواتر غير خاف ولا منكر قد شهدها المسلمون وعاصروا أحداثها وألِّفوا بها، أو لعله أراد تعيها القلوب الواعية التي ربط الله عليها بالإيمان والتقوى، وقوله (ولا تمجُّها آذان السامعين) أي لا تلفظها أو لا تملُّ من سماعها لكونها مما لم يسمع مثله أو يعرف له نظير لحلاوتها في السمع ولما فيها من الدروس والعبر والفعال الجسام والبطولات الخارقة مما يصلح أن يكون مادة دسمة لقصائد الشعراء وقصص القصّاصين، ولعله كنّى بذلك عن جدَّتها، أي هم حديثوا عهد بها كونها من الأخبار البكر التي لم تطرق الأسماع بعدُ ولم يلهج بها لسانه من قبل، أو أراد أنها لم تزل طريَّة لقرب العهد بها، من قولـهم

(الماج) للبعير إذا أسنَّ وسال لعابه.

وجاءت النكرتان (أقوام) و (أمرا) في قوله: " وقد رام أقوام أمرا بغير الحق"٣٣

وقد أفادت في الأولى الدلالةعلى التهوين وفي الثانية الدلالة على التعظيم، وآية ذلك - برأينا- أنه يشير الى حادثة السقيفة وكيف عزم الرجلان على إرغامه على البيعة للأول فتوعدوا وأقسموا على ذلك الأمر فأكذبهم الله ورد كيدهم الى نحورهم، وأما قوله (بغير الحق) فيحتمل أربعة أمور:

١. من دون نص ولا إجماع على خلافة الأول.
٢. بخلاف القرآن والسنة اللذين نصا على خلافته لرسول الله (صلى الله عليه وآله) في قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ (٣٤) وقول الرسول في بيعة الغدير (من كنت مولاه فهذا علي مولاه).
٣. تأكيد إكراهه على البيعة وإرغامه عليها عنوة من دون رضا ولا اقتناع.
٤. إقرار وتأكيد بأنه أحق بالخلافة من سواه وقد تقلد رداءها من تقلد من دون وجه حق.

ويحتمل الكلام معنى آخر وهو الأقرب الى سياق وهو أنه عنى حادثة التحكيم بدلالة قوله (وقد دعوتنا)، ويحتمل في (أقوام) أنه يعرض بجماعة من جيشه ممن جنحوا الى التمرد وعزفوا عن القتال زألزموا الإمام (عليه السلام)بقبول التحكيم، وقد استعمل النكرة للدلالة على التهوين من شأنهم وأنهم لا دراية لهم بخدع القوم ومكائدهم أو لعله أراد بهم جيش العدو وقد افادت النكرة الدلالة على التعجيز أي لقد لجأوا الى المكر والخديعة بعد أن ظهر عجزهم وتفرق جمعهم وأوشكوا على الفرار، وقوله (بغير الحق) أي بغير الوجه الحقيقي لما جاءوا به مصداقا لقوله (كلمة حق يراد بها باطل) أي لم يكن فعلهم (رفع المصاحف) عن توجه حقيقي ونية صادقة لتحكيم القرآن واتباع الحق وإنما طلبوا أحد أمرين:

الأول انقسام جيش الإمام على نفسه وانكساره ومن ثم إلحاق الهزيمة به.

الثاني الحصول على هدنة مؤقتة لالتقاط الأنفاس ورص الصفوف وإعادة هيكلة الجيش والمراهنة على تفتيت جيش الإمام بإشاعة الأراجيف وبث الفتن والعمل على زيادة الضغط النفسي باستثمار عامل الزمن وإطالة أمد الحرب.

وجاء استعمال النكرة (لسان) في قول معاوية: " لا تدفع عنهبلسان ولا يد"٣٥ إذ أفادت الدلالة على التعجيز بدلالة قوله (بمحضر منك)، أي لقد أظهرت عجزك عن نصرته حتى قتل بمحضرمنك وقد عيا لسانك ونبا سيفك فلم تعزم على حمايته والدفاع عنه. أو يكون الغرض من التنكير الدلالة على النوع، أي لم تدفع عنه بلسان صارم يسكت الفتنة وسيف بتار يطيح برؤوس المارقين ويقطع دابر السفهاء على خلاف ما هو معهود عنك من حسن بيان لسانك وقوة إقناعه وصرامة سيفك وشجاعتك وشدة بأسك، وعلى هذا يكون معنى قوله (بمحضرمنك) أي بتأييد منك وإغراء أو حصل ذلك مع علمك بأنهم سيقدمون على قتله وكون كلامك مطاعا عندهم وسيفك مهابا لديهم.

م٢ البحث التركيبي :

التقديم :

- **تقديم خبر (إن) على اسمها:**

ورد تقديم خبر (إن) على اسمها في قوله " فإنَّ للطاعة أعلاما واضحة"٣٦ لقد قدَّم خبر الحرف المشبه بالفعل وهو قوله (للطاعة) على اسمه (أعلاما) بقصد التشويق الى طاعة الله والترغيب والحث عليها لأن الوظيفة الكبرى للإمام (عليه السلام) هي الإصلاح والهداية للأمة وليس الانتقام أو سفك الدماء ولذلك لم يزل الإمام يفتل لمعاوية في الذروة والغارب لعله يكفُّ عن غيِّه وينيب الى طريق الحق ويجنِّب الأمة ويلات الاقتتال أو الفتن، ولذلك نجده قد استهل كلامه بحثِّه على التقوى والتدبُّر في حق الله على العبد من لزوم طاعته والكف عن معاصيه والنزول على إرادته وحكمه. ومعنى قوله "ارجع الى معرفة ما لا تعذر بجهالته" أنك إن كنت جاهلا بمكانتنا، نحن أهل بيت النبوة، في الإسلام وحقِّنا على العباد فتدارك جهلك واجتهد بمعرفة ما فاتك معرفته وتبيَّن أمرنا واحفظ لنا حقَّنا فإنك

غير معذور بترك ذلك أو الجهل فيه، وإن دلائل الطاعة وأبوابها معلومة لجميع المسلمين وهي لا تخفى على ذوي الألباب النيِّرة والضمائر الحيَّة فالتمسها وتقفَّ آثارها تحظى بالنعيم والسعادة الأبدية وإلاّ فاستعدَّ للبلاء وزوال نعمته عنك ونزول نقمته عليك.

- **تقديم متعلق الفعل على معموله:**

ورد تقديم متعلق الفعل عليه في قوله "وبذلك القلب ألقى عدوي"٣٧

إذ أفاد التقديم قصر الفعل (ألقى) على متعلقه الجار والمجرور وصرفه عما سواه، فإني أقارعكم بذلك القلب الذي لا يعرف للخوف عنوانا ولا مكانا إذ ليس فيه فسحة لتملأها الهواجس أو تشغلها الحسابات والخواطر بل هو مملوء بعشق خالقه متيَّم بذكره وتسبيحه توّاق الى لقائه والإقامة عنده في مقعد الصدق الذي وُعِد به المتقون. فالجرأة والإقدام والاستبسال سمات بارزة وملاصقة لعلي (عليه السلام) بل هي متلبِّسة بشخصه حتى صار لها رمزا ومصداقا واقعيا لتمثلها في ساحة الحرب، كيف لا وهو الذي تتحاشى مواجهته الأبطال ويفرُّ من بين يديه شجعان العرب وصناديدها، بل لا يعدون ذلك مثلبة ولا عارالأنه أخو الحرب وليث الوغى وأسد الله الغالب ولديه من الإيمان والثبات ورسوخ العقيدة ما يزعزع الجبال ويشغل الوديان ويملؤ البحار وهي القوة الغيبية التي أشار إليها حين سئل ذات يوم بأي قوة اقتلعت باب خيبر العظيم؟ فأجاب بأنه اقتلعها بقوة ربانية لا بقوة جسمانية. وقد عدل عن البنية الاسمية، التي وظَّفها في قوله "فأنا أبو حسن....وذلك السيف معي"لإظهار الثقة المطلقة بالنفس وإضعاف الخصم وبث الرعب في نفسه من خلال الاستشهاد بوقائع مشهودة وأحداث حقيقية ملموسة وتذكيره بأنه واتره بالأمس وأنه الحصن الحصين لهذا الدين وأنه سيف الله الذي انتقم به من عتاة المشركين وكسر شوكتهم وأذهب ريحهم وردَّ كيدهم الى نحورهم، أقول عدل الى البنية الفعلية في قوله "وبذلك القلب ألقى عدوي" لتغطية البعد الحركي للمشهد لما يتضمَّنه اللقاء والمنازلة من حركة دؤوبة وأحداث متسارعة. وقد أفادت (أل) في (السيف، القلب) الإشارة الى عهد سابق، أي لقد

شهدتم تلك المواقف وعهدتموني صاحب رسول الله (صلى الله عليه وآله) فيها والحصن المنيعفي الذود عن الإسلام دونكم، أما جرأتي في القتال فمشهودة لا تنكر وأما سيفي فمجرَّب لا يقهر وقد رأيتموه مرارا ولمستموه عيانا وما أشبه الليلة بالبارحة فسوف أقاتلك يا معاوية به كما قاتلت آباءك وأواجه جموعكم بذلك القلب المطمئن والمبدأ الراسخ والعقيدة الحقة كما واجهت جموع الكفر وجيوش الشرك والنفاق وأفللت عزائمهم وأبطلت دسائسهم وأحبطت أحلامهم في القضاء على بيضة الإسلام.

- **تقديم المفعول به على الفعل:**

ورد تقديم المفعول به على عامله في قول علي (عليه السلام): " ولسنا إياك أجبنا"٣٨

إذ أفاد معنى الاختصاص بقصد الاحتقار والتهوين من الخصم وتعزز ذلك بمجيء النفي بـ (ليس) لكونه أقوى وأبلغ من النفي بـ (ما) النافية، أي إنك يا معاوية أهون من أن أجيبك الى ما طلبته ورغبت فيه من الجنوح الى السلم لأن ذلك لم يكن عن رغبة منك في حقن دماء المسلمين والرجوع الى جادة الحق بل هو ناجم عن ضعف موقفك وانكسار جيشك وظهور علامات الهزيمة في صفوفك وهو مكر منك وخديعة لبث الفرقة في صفوف جيش الله وزرع بذور الفتنة والانشقاق في جسده الواحد، لكن هذا لا ينطلي علينا ولا يضعف عزائمنا ولو شئنا لواصلنا الزحف إليك حتى نظفر بك ونفرِّق جموعك ونبطل سحرك ولكن نزلنا على حكم القرآن في قوله (وإن جنحوا للسلم فاجنح لها)٣٩، قال ابن أبي الحديد: وقوله (ولسنا إياك أجبنا) مثل قوله (والله ما حكمت مخلوقا وإنما حكمت القرآن)٤٠.

- **تقديم المفعول به على الفاعل:**

جاء تقديم المفعول به على الفاعل في قولمعاوية " من يزن الجبال حلمه ويفصل بين أهل الشك علمه"٤١

إذ قدَّم المفعول على الفاعل جوازا كما يقول النحويون لكنه أفاد نكتة بلاغية وهي العناية والاهتمام بالمفعول وتسليط الضوء عليه لأجل المبالغة في إثبات المعنى

المقصود وهو سعة حلمه- على حد زعمه- وثباته على موقفه ومعرفته بالسياسة والدهاء وإدارة المواقف الصعبة، ولعله لم يقصد بقوله (أهل الشك) الشك العقدي أو ضعف الإيمان وإنما أراد أصحاب المواقف المترددة والقرارات الخجولة الذين لا يجيدون التعامل مع المواقف الصعبة بحزم وحسم وإنما يغلّبون الوسطية (أو الخروج بأقل الخسائر) ويجنحون الى أنصاف الحلول، وقوله (يفصل) أي إن خبرته ودهاءه وقراءته الشاملة للأحداث والمواقف جعلت له الكلمة الطولى في حسم النزاعات وتمحيص الآراء واتخاذ القرارات الصائبة والمناسبة. غير أن الإمام (عليه السلام) عاجله برد مفحم أبطل فيه دعواه وفضح أكاذيبه وأوهامه وبيَّن له مكانته في الأمة وقدره الذي يستحقُّه والنعوت التي هي له أليق وبه ألصق، فهو معدود من المنافقين الذين ملأ الشك قلوبهم وأمكنوا الشيطان من قيادهم ولم يؤمنوا بالله طرفة عين أبدا، بل دأبوا على إضمار الحقد على الإسلام والبغضاء للمسلمين والحسد والشنآن لأهل بيت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لمنزلتهم في الإسلام ومكانتهم في قلوب المسلمين وهو قوله تعالى (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا)٤٢، وإنك لجلف جاف غليظ القلب وهذا أبعد ما يكون عما ذكرته من الحلم والسماحة ورقة القلب، أما علمك فمحض خيال لأنك باتفاق العلماء وأهل الخبرة والدراية غير معدود في العلماء أو الحكماء وليس لك أدنى حظ من الفقه في الدين أو إلمام بعلوم الشريعة وأحكام القرآن.

الوصل :لقد جاء الوصل بالواو بين هاتين الجملتين الخبريتين الفعليتين في قول علي (عليه السلام):" تعظّمونه بألسنتكم وتجحدونه بقلوبكم"٤٣

ولم يأت الوصل هنا لكون كلتا الجملتين خبريتين ومتغايرتين في المعنى (بدلالة التضاد) ولك لنكتة أخرى وهي اختلاف المعنى المقصود في حال الفصل بين الجملتين لكون الثانية جزءً لا يتجزَّأ من الأولى ولا يمكن الاستغناء عن إحداهما وأنهما يشتلركان في تأدية المعنى المقصود لأن الغرض من النص تأكيد ما خفي من نفاقهم وليس بصدد تأكيد وقوع التعظيم والجحود من قبلهم ولكن إثبات ان هاتين الصفتين واقعتان على موصوف واحد هو (القرآن) أي أن هناك رابطا وثيقا

بينهما بدلالة (الهاء) في (تعظمونه) و (تجحدونه) التي تعود على قوله (كتاب)، لأن صفة اتعظيم باللسان لوحدها صفة إيجابية بحد ذاتها أي تشتمل على المدح والثناء فليس المنكر عليهم من جهة تعظيم القرآن في اللسان ولكن اقتران التعظيم بالإنكار:

(تعظيم + جحود = نفاق)

وكذلك لو اقتصر الكلام على الجملة الثانية (كتاب تجحدونه بقلوبكم) لأفاد الدلالة على كفرهم وليس على نفاقهم لأن إنكار القرآن كفر صريح بينما النفاق هو التعظيم أو التصديق في الظاهر في قبال الإنكار أو الكمفر في الباطن.

البنية الاسمية :

وردت البنية الاسمية في قول علي (عليه السلام): " وأنا صاحبهم في تلك المواطن"٤٤

إذ استعمل البنية الاسمية للدلالة على الثبوت والاستقرار لإظهار الثقة العالية بالنفس في معرض الفخر والاعتداد بالنفس، وهو اعتداد مشروع في ظل تلك الحرب الكلامية والأجواء المشحونة بالتوتر الانفعالي، ففي ظل هذا كله يعلن الإمام (عليه السلام) بمنتهى الثقة والاطمئنان النفسي أنه قادر على حسم نتيجة الصراع لصالحه لكونه السيف المجرب الذي لا يفلل حدُّه ولا ينبو ضباه وهو صاحب الوقائع المشهودة والحملات المعروفة وأن خصمه معاوية لم يكن يوما مشهودا له بالشجاعة ولم يسجل له التاريخ موقعة أو حدث بارز في ميادين القتال وأنه متبع معاوية بأسلافه لا محالة وكأن الأمر حقيقة ثابتة وأمر حاصل مفروغ منه، كيف لا يكون كذلك وهو قاتل آبائه في نصرة الدين المبين يوم كانوا على الشرك والنفاق وكان هو (عليه السلام)يذود عن الإسلام ويدافع عن حمى المسلمين ويجتث رؤوس الضلالة والبغي وهو عازم كل العزم أن يلحقه بآبائه ويتبعه بسلفه ويسقيه من الكأس الذي شربوا منه، كيف لا وعنده السيف الذي ذاقوا حرَّه فخرُّوا من وقعه صرعى كأن لم يحدثوا أمرا ولم يكونوا قبل ذلك شيئا مذكورا، ولا شك أن هذا يفعل فعلا عظيما في نفس الخصم إذ يثبِّط قواه ويشل قدراته ويزعزع قدميه في الميدان ولذلك نجد عليا يؤكد هذا المعنى في قوله (ما برز إلي أحد إلا أعانتني

نفسه عليه) وهذا الأمر كان واضحا لدى معاوية ولذلك كان حريصا كل الحرص على أن لا يواجه عليا في الميدان ليس لكونه شجاعا مقداما فحسب بل لكونه عليا لأن الفارس بمجرد أن يلاقيه في الميدان تكاد نفسه تخرج من أحشائه كمدا لإدراكه أنه مقتول لا محالة.

وفي قوله " فأنا أبو الحسن قاتل جدك وأخيك وخالك وما أنت منهم ببعيد"٤٥

إذ جاء استعمال البنية الاسمية للدلالة على الاستقرار النفسي والترنم، وتعزَّز هذا الترنم أو التلذذ بالإخبار عن نفسه بكنيته المشهورة (أبو الحسن)، وكل ذلك لزيادة التأثير النفسي على الخصم وبث الرعب في جوانحه، وكأنه يرسم لنا بهذه الكلمات صورة بصرية متخيَّلة لسبع متاهِّب للانقضاض على فريسته وهو مكشِّر عن أنيابه عاض على نواجذه، وجاء الخبر الثاني وهو قوله (قاتل جدك) لتذكيره بذلك الحدث التاريخي الهام وتفاخره عليه وتعييره بكفر من قتلهم من رهطه ليتوعده بعد ذلك بالقتل في قوله (وما أنت منهم ببعيد) باستعمال (ما) الحجازية ودخول الباء الزائدة على خبرها للتوكيد وتقدم الجار والمجرور (منهم) على عامله، خبر (ما) وهو قوله (بعيد)، لقصره عليه وصرفه عما سواه لتوافق العقيدتين وتماثل العاقبتين.

وفي قول معاوية " ها أنا سائر إليك في جمع من المهاجرين والأنصار"٤٦

إذ جاءت البنية الاسمية لترسيخ المعنى في ذهن المتلقي، لكون معاوية ليس معروفا عنه الإقدام في الحروب أو الاستبسال عند اصكاك السيوف، بل هو رجل تنصب له خيمة في مؤخرة الجيش ليطل منها على الميدان لا أن يتحمل بنفسه أو يعرّض نفسه لضرب السيوف وطعن الرماح، وهذا يعكس ازدواجية الشخصية لديه، فهو مدرك تماما أنه يقول ما لا يفعل وأن كلامه لا يعدو أن يكون جعجعة فرس أو طنطنة ذباب لا طائل من ورائه ولا واقعية له كما أنه يدرك تماما أن عليا ليس ممن " يقعقع له بالشنان"، ولكنه يأتي كردة فعل أو محاولة للتفريغ عما يختلج في أعماق نفسه من الغيرة والحسد والشنآن والعجز وهو يرى عليا (عليه السلام) يصول ويجول في الميدان ويقتحم الكتائب ويجندل الأبطال وطالما يدعوه الى المنازلة فلا

يجيبه ويراه فارس حلبة الخطابة والبيان مثلما هو فارس حلبة الميدان فلم لا يجرِّب حظَّه وينتصر على نفسه فيدعي ما ليس له ويتوعد ويتهدد إن لم يكن ذلك في ساحة الحرب وعند المنازلة فليكن في بطون الكتب والمراسلات لعله يسترد شيئا من الثقة بالنفس ويشفي قلبا ملأه الحقد واستولت عليه الكراهية والحسد وليثأر لآبائه من واتره ولو بالكلام فحسب وبمداد الحبر وعلى ظهر الأدم ليس إلاّ. ألا تراه قد افتضح من حيث لا يشعر وأعرب عما في النفس من طريق اللاوعي بأنه ليس كفؤا أن يتحدى عليا أو يكون له ندا بأن نسب الفعل الميداني الى أصحابه وعزل نفسه منه بقوله (حتى يحاكموك الى الله) بدلا من (نحاكمك)!!، وليس أدل مما هو فيه من ألم نفسي مبرح وامتعاض شديد من خصمه اللدود من نعته له بأنه " الشامخ بأنفه الذاهب بنفسه المستطيل على الناس بلسانه ويده" ولعمر إنه أراد أن يذمه فأثنى عليه، إذ لا يخفى أن شموخ الأنف من الكبرياء والعزة وأنه المستطيل أو المتطاول على عدوه بالحق وبقوة حجته وبلاغة منطقه وحدَّة سيفه وأنه التائه بنفسه لقربه من الله ومحله من رسول الله (صلى الله عليه وآله) وحسن بلائه في الإسلام وهو الموسوم بلسان القرآن بأنه للمؤمن أخ حميم وعلى الكافر نار الجحيم وهو قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾٤٧.

البنية الفعلية :

وردت البنية الفعليةفي قول علي (عليه السلام): " وأرديت جيلا من الناس كثيرا خدعتهم بغيك"٤٨

إذ جاء استعمال البنية الفعلية لتغطية البعد الحركي للمشهد من ممارسة القتل والتنكيل وترويج الادعاءات والأكاذيب وإشاعة الفتن والدسائس وارتداء لباس الدين وادعاء الانتصار للخليفة المقتول والمطالبة بدمه بقد تمزيق وحدة الأمة الإسلامية وتحويل الخلافة الى ملك عضوض يتلاقفه بنوأمية ويجعلونه إرثا لهم. وبدأ بقوله (أرديت جيلا) لأولويته على من سواه لكونه يتعلق بأرواح الناس

وذلك أن حفظ دماء المسلمين من أولويات سياسة أمير المؤمنين (عليه السلام) فهو لا يفكر في نصر دنيوي أو مكاسب ضيقة بل جل همِّه وغايته أن تحقيق العدالة بين الناس وإصلاح شؤون الأمة وجمع كلمتها على الإسلام الحقيقي الذي جاء به محمد (صلى الله عليه وآله) وضحّى من أجله الصحابة الأوائل من المهاجرين والأنصار، ولذلك كان أول فعل يشنّعه عليه هو الإيغال في القتل وسفك الدماء بغير وجه حق بل إبقاء لملكه وبغيا على الخليفة الشرعي للأمة وهو قوله (وأرديت جيلا من الناس كثيرا) ثم إنك لم تزل تمكر بالمسلمين وتخادعهم وقد كلَّفتهم أمرا لا يطيقونه بأن سوَّلت لهم الخروج على الجماعة وأغريتهم بالمال والمناصب حتى عصفت بهم أمواج الشك والحيرة واستولت عليهم الشبهات وأخذت تتلاعب بهم الفتن والأهواء فخرجوا عن جادة الحق ونكصوا عن بيعة من أجمعت عليه كلمة المسلمين وحكَّموا في أمرهم العصبية والهوى ولم يلتفتوا الى عقل أو شريعة أو إجماع. ولعل في قوله (خدعتهم بغيك) إشارة الى قوله تعالى (ولقد أضل منكم جبلا كثيرا) يس ٦٢ فكما أن الشيطان لا يختلف على كفره وخبثه ودوره في إضلال الناس وإغوائهم كذلك صار معاوية رمزا للضلالة والكفر والنفاق ومصدرا من مصادر إضعاف الأمة الإسلامية وتمزيقها والقضاء على هيبة الإسلام وتحويل الخلافة الإسلامية الى ملك عائلي وسلطان دنيوي.

وقوله " فسيطلبك من تطلب ويقرب منك ما تستبعد"٤٩

إذ استعمل البنية الفعلية للدلالة على التحول والانتقال من وضعية الدفاع الى وضعية الهجوم، فالخصم لا شك قد استغلَّ وضع الدولة الحرج والاضطرابات التي حدثت بعد مقتل الخليفة عثمان ومآل الخلافة الى أمير المؤمنين (عليه السلام) وامتناع طائفة من القوم عن البيعة ووقوع حرب الجمل إذ شجع هذا كله معاوية على التعنت ورفض الدخول في طاعة الإمام ومطالبته بدم عثمان لخلق الاضطرابات وقلب أوضاع الحكم والاستئثار بملك الشام بلا منازع. والإمام (عليه السلام) يتوعده بفرض هيبة الدولة وبسط نفوذه على ولاية الشام بأقرب فرصة ممكنة ووأد الفتنة في مهدها وفض الاضطرابات التي تشهدها البلاد الإسلامية وأنه

ماض إليه لا محالة لإجباره على الرضوخ الى سلطة الخلافة، وسيلجأ عندئذ الى التمترس في مقره في الشام والدفاع عن ملكه بعدما عاث في الأرض فسادا يروِّج للفتن ويدعو الى شق عصا الأمة والانقلاب على الخلافة الشرعية. وإن استعمال حرف الاستقبال (السين) في قوله (فسيطلبك) يعزز المعنى الذي نحن بصدده وهو تأكيد قرب ساعة المحاسبة والردع بملاحقته وإرغامه على الخضوع الى قرار الخليفة الشرعي بعزله عن ولاية الشام، وقد تأكد هذا المعنى بالوصل بين الجملتين للدلالة على أنهما يشتلركان في تأدية المعنى المقصود وهو اقتراب ساعة العزل وانتزاع الشام من مخالبه وفك قبضته عليها وتخليص المسلمين من حكمه الجائر وعتوه وإلاله للرعية وتسلطه على رقابهم. ويأتي قوله (من تطلب) في معرض التهكم والسخرية من وعيده وتهديده الأجوف بالاحتكام الى السيف وحسم الصراع عسكريا في قوله "وليس لك ولأصحابك عندي إلا السيف"٥٠فإنه لا شك يضحك الثكلى ولكنه في الوقت ذاته فيه من عظة وعبرة للمسلمين بأن الدهر متقلب لا يدوم على حال واحدة وإن من هوان الدنيا على الله أن معاوية يتهدد عليا بالمنازلة والقتال ويصيِّر نفسه ندا له وهو أبعد ما يكون الى ذلك!! وأنه لا يقاس بعلي بأي حال من الأحوال لأنه سيذوب وتلاشى قباله كما تتلاشى قطرة الماء في قبال النهر العظيم.

م٣ البحث التصويري :

- **التشبيه** :التشبيه هو أسلوب من أساليب تصوير المعنى بطريقة فنية، يعتمد على قوة الطبع ودقة الملاحظة وسعة المخيِّلة والإدراك العقلي المتميز٥١. ويؤدي التشبيه وظيفة بلاغية تتمثل في إبراز المعنى وتأكيده والمبالغة فيه٥٢، وله وظيفة نفسية تتمثل في التأثير في المتلقي من خلال تحريك انفعالاته وإثارة عنصر التعجيب لديه، يقول عبد القاهر: إذا جاء التشبيه في أعقاب المعاني ضاعف من قواها في تحريك النفوس لها ودعا القلوب إليها واستثار لها من أقاصي الأفئدة صبابة وكلفا وقصر الطباع على أن تعطيها محبة وشغفا٥٣.

ورد التشبيه في قول علي (عليه السلام): " فإن حالك اليوم كحال الثوب المهيل"٥٤

وهو تشبيه معنى مجرد بمحسوس إذ شبَّه حال معاوية بحال الثوب البالي الرقيق، ومن سمات الثوب البالي أنه لا يرغب فيه أحد وليس فيه نفع وليس له أدنى قيمة ولا رونق ولا جدَّة ولا نضارة وقد ملَّه صاحبه ونفر منه واستثقله على جسده فكذلك معاوية لم يكن يوما أهلا للخلافة والحكم إذ ليس له دين ولا ورع ولا دراية ولا علم كما لم تكن له سابقة في الإسلام ولا فضيلة في نصرته والذود عنه فضلا عن كونه من أبناء الطلقاء ممن دخلوا الإسلام بحد السيف وهم له مبغضون واعتنقوه اضطرارا وهم كارهون مرغمون، وقد ملَّه الناس وبرموا من ظلمه وبطشه وإيغاله في الدماء واستباحته للحرمات وولعه بالترف وحياة القصور وشرهه الى الطعام والملذات ونهمته في الملك والإمارة. وهو موسوم بالنفاق مشهور ببغضه للإسلام وحقده على المهاجرين والأنصار وعدائه وحسده لأهل بيت النبوة فضلا عن كذبه وافترائه وتجبره وعناده ولزومه للباطل ونصرة أهله ومجافاته للحق ومحاربة أتباعه فضلا عن ظهور علامات الضعف والانكسار في جيشه، فهو جيش يقاتل طمعا في الغنائم وحبا للمناصب وليس عن عقيدة راسخة أو مبدأ مقدَّس وهو يرون في أميرهم كبرا وعتوا وضلالة ومكرا وجبنا وبرما ويتحسَّسوه طالبا للدنيا متفانيا في ملذاتها مضيِّعا للآخرة زاهدا فيها وفي قبال ذلك يلمسون في خصمه علي سماحة وتقوى وإيمانا وورعا وشجاعة وبأسا ويتحسَّسونه معرضا عن الدنيا زاهدا فيها تواقا الى الآخرة مجتهدا في طلبها، فمثله في هذا كله مثل من يغطي عورته بكفِّه فما أن يستر منها موضعا إلاّ تعرّى موضع آخر وكذلك معاوية ما أن يجتهد في إخفاء منقصة أو عيب مما ذكرنا حتى ظهرت عيوب أخرى وتكشَّفت مثالب لا تحصى، ومن هذه حاله فهو أشبه براقع الثوب الخلق لذي عجز راقعه عن إصلاحه فما أن يخيط منه فتقا أو يصلح خرقا إلاّ انفتق من موضع آخر وبانت فيه خروق من جهات عدَّة.

وفي قول معاوية " تساق بخزائم الاقتسار كما يساق الفحل المخشوش"٥٥

وهو تشبيه محسوس بمحسوس، إذ شبه اقتياد علي(عليه السلام) من بيعته مغلولا لأخذ البيعة منه بسياسة البعير المخشوش الذي يجعل في أنفه الخشاش، وهي

خشبة يشدُّ بها الزمام ليكون أسرع لانقياده، ويأتي ذلك في معرض الانتقاص من والتعيير والتشفي وتبادل الشتائم والإغلاظ في القول، وليس فيه-عند من له أدنى حظ من بصيرة أو نظر ثاقب- انتقاص من شخص علي ولا مكانته السامية في الإسلام لكونه (عليه السلام) آثر الصبر- عن قدرة وتمكن وليس عن ضعف أو عجز- على بلاء الله والبقيا على الإسلام برغم ما نزل به من مصاب جلل بفقده لرسول الله (صلى الله عليه وآله)وانشقاق المسلمين وتكالب القوم على الخلافة وما جرى عليه من غصبه حقَّه وانتهاك حرمته وإكراهه على البيعة وما تعرض له بصدد ذلك من الأذى والحيف لئلا يتمزق كيان الإسلام ويتهدَّم بنيانه وتتبدَّد قوَّته وتتشتَّت لحمته وتتفكَّك أواصر عراه ويقلُّ خطره ويتلاشى أثره. وكأن معاوية يتخفّى وراء هذه المماحكة الكلامية وذلك التطاول المقيت، بوصفه عليا (عليه السلام) بأنه اللجوج العابث والحسود المفسد الخارج عن الجماعة المؤلِّب على الخلافة المحرِّض على سفك الدماء الشامت بمصاب غيره المتتبع لعيوب خصومه ومنافسيه وهو ناقم على الخلفاء مبغض لهم باغ عليهم مستثقل للبيعة لهم مقهور عليها سائر على ضلاله محكِّم لأهوائه منقاد لأمانيه ووساوس نفسه كما في قوله "فدع اللجاج والعبث" وقوله "استغويت عصابة من الناس" و "نشرت مقابحه وطويت محاسنه" و "أظهرت الشماتة بمصابه" و ....٥٦، وتلك التشبيهات الحسِّيَّة المتكلَّفة نحو تشبيه اقتياد علي للبيعة بسوق البعير المخشوش، وجهاده في الإسلام بصفوان عليه تراب٥٧، أقول كأنه يتخفّى وراء هذه القوالب الجاهزة لتخفيف الضغط النفسي عليه ولخداع أصحابه بأنه لم يزل قوي العزيمة شديد المراس صلب الإرادة جريئا متماسكا قادرا على المبادرة ومسك زمام الأمور إذ يقف في مواجهة علي (عليه السلام) بكل نعوته ومناقبه وأمجاده وتاريخه المشرِّف وخدماته الجليلة للإسلام والمسلمين وينافره ويفاخره ويبادله المواعظ والحكم ويضرب له الأمثال ويسوق له التشبيهات ويتهدَّده ويتوعَّده، كما في قوله "ليس لك ولأصحابك عندي إلا السيف" و قوله " والذي لا إله إلا هو لأطلبنَّ قتلة عثمان أين كانوا وحيث كانوا"، وينسج حوله الأكاذيب ويكيل له الاتهامات بشق عصا المسلمين وسفكه للدماء وإيوائه لقتلة

الخليفة وتستُّره عليهم وينهال عليه بالتأنيب والتوبيخ والنعوت القاسية والكلمات النابية وينعى عليه استئثاره بالخلافة من دون شورى ولا إجماع، كقوله "ثم نهضت تطلب الخلافة" وقوله "أعد الأمر شورى بين المسلمين"، ويناجزه بالمنطق والحجة وآلة البيان كما سوف يناجزه- بزعمه- في الميدان بحد السيف وأطراف السنان!!. إن هذا التطاول من معاوية على أمير المؤمنين (عليه السلام) ينمُّ عن حقد أعمى في قلبه إزاء الإسلام أولا، بوصف الإمام المدافع الأول عنه ومن كان له القدح المعلّى بتشييد أركانه وإتمام نوره، وهو حقد ورثه عن آبائه الذين لم يألوا جهدا في مواجهة الدين الجديد والتصدي له بكل الإمكانات المتاحة ثم دخلوا الإسلام مكرهين بسيف علي حين أظفره الله عليهم ومكّنه من كسر شوكتهم وتبديد جموعهم وتحطيم أصنامهم، نعم لقد كان اعتناقهم هذا الدين عنوة بعد أن ناصبوه العداء دهرا وبذلوا من أجل القضاء عليه أو تحجيمه كل ما يملكون من الأموال والأنفس والطاقات، ولذلك وبلسان رسول الله (صلى الله عليه وآله) عُدَّ سيف علي (عليه السلام) أحد الأركان الأساسية التي شُيِّد عليها الإسلام وأرسيت عليها دولته العظيمة، وإزاء شخص علي ثانيا وحسد له لمكاته العظيمة في الأمة الإسلامية وفي قلوب المؤمنين ولما يتسم به من سمات فريدة وما سطَّره من مواقف مشهودة وملاحم خالدة وبطولات خارقة وأمجاد غير مسبوقة ومناقب مشرِّفة تملأ الخافقين وتمتد بعد المشرقين تحيِّر الألباب وتخرق الى القلوب كلَّ حجاب.

- **الاستعارة** :تعد الاستعارة أداة ا لشاعر في عملية الخلق الشعري. وهي أقدر وسائلا لتعبير الفني على إحداث التأثير المطلوب في المتلقي ومنح التعبير الشعري هويته الفنية والجمالية، إذتجنح الىتشكيل علائق غير متجانسة وإحد اثخر وقات غير مسبوقة لتنسحب من فلك المألوف والمتجانس الى نقيض ذلك٥٨، يقول الدكتور مجيد عبد الحميد: إن الاستعارة عملية خلق جديد في اللغة ولغة داخل اللغة فيما تقيمه منع لاقات جديدة بين الكلمات وبهاتحدث إذابة لعناصرالواقع وإعادة تركيبها من جديد٥٩، وبذلك تمنـــع

الاستعارة اللغة الشعرية من الابتذال بما تقوم عليه من مبدأ تجاوز اللغة الدلالية الى اللغة الإيحائية٦٠.

ومن الاستعارات التي وردت في المكاتبات استعارة البعير الهائج للأمر الشاقفي قول علي (عليه السلام): "حملتهم على الصعب"، وهي استعارة تمثيلية إذ صوَّر لنا الأمر الشاق العسير بعيرا هائجا صعب المراس يركبه الإنسان فيلقي به الى حيث مصرعه وأراد كلَّفتهم ما لا يطيقونه وأوردتهم موردا لا قبل لهم به وهو الخروج على طاعة الخليفة الشرعي للأمة والاحتكام الى العصبية والهوى والعدول عن القصد وإجماع الأمة.

ومنها استعارة السرابيل للاستعداد الى الشهادة في سبيل المبدأ الحق في قوله " متسربلين سرابيل الموت"٦١، وهي استعارة تصريحية إذ شبَّه إيثار أصحابه للشهادة بالقميص في الاستحواذ والاشتمال فكما أن القميص يغطي عموم الجسد ويشتمل عليه ويلتصق به فكذلك التوطُّن على الشهادة التي شغلت جُلَّ تفكيرهم واستولت على قلوبهم فلم يعد فيها مكان لحب الدنيا أو التفكير في البقاء، ثم حذف المشبه وأبقى المشبه به على سبيل الاستعارة.

ومنهااستعارة العض للشدة في قوله " تضج من الحرب إذا عضتك"٦٢، والعض في اللغة الشدُّ بالأسنان على الشيء وهو مثل عند العرب للزوم واللصوق، يقال: عضَّ الرجل بصاحبه إذا لزمه ولزق به، وقوس عضوض إذا لزق وترها بكبدها، وملك عضوض أي شديد فيه ظلم وتعسُّف، وعضَّه الدهر والحرب مستعار من عضِّ الناب والأفعى. وهي استعارة تصريحية إذ شبَّه التفاف الحرب على المقاتل وشدة وقعها وتضييقها عليه بعضَّة الأفعى وإطباق فكَّيها على فريستها، والشبه بين العضَّة والحرب شدَّة وقعهما وقوَّة اثرهما فكما أن الفريسة تصرخ من ألم العض وتنوء بنفسها فكذلك وقع الحرب على المقاتل إذا ما أطبقت عليه بفكيها واصطلته بأوارها وضيَّقت عليه طريق النجاة وإذا ما أحاطت به الخيل والرجال وخذله أصحابه وأسلموه عند اصطكاك السيوف واشتباك الرماح وليس معه ناصر ولا معين فإنه لا شك ينوء بحمله ويستسلم الى قدره وينقاد الى

حتفه، ولا يخفى عليك أن الحرب والأفعى يشتركان في كونهما موسومين بالغدر والتلون وإحكام القبضة (تضييق فرص النجاة/ الإطباق على الفريسة)، أي كيف بك إذا أكلت الحرب أصحابك وأفنت جموعك وافردتك في الميدان إفراد البعير الأجرب فعنئذ تنوء بنفسك وتضجُّ "ضجيج الجمال بالأثقال"!!.

ومنها استعارة موج البحر لمن يتعرض للهلاك أو الخطر الشديد (أو لهول الفتنة وقوة الشبهة) في قوله " وألقيتهم في موج بحرك تغشاهم الظلمات وتتلاطم بهم الشبهات"٦٣، وهي استعارة تصريحية إذ شبَّه الفتنة بموج البحر، في كونهما وسيلة من وسائل الهلاك فكما أن الإنسان يصارع عبثا موج البحر المتلاطم الذي يضرب بعضه بعضا لقوة عصفه وشدة هيجانه حتى يركبه الموج ويودي به فكذلك الشك في أمر العقيدة مهلكة للدين وطريق الى الضلال، ثم حذف المشبه وأثبت المشبه به على سبيل الاستعارة. وأراد أنه عرَّضهم لفتنة تزلُّ بهم عن دينهم إذ غشيتهم الحيرة وعصفت بهم الشبهة فحادوا عن جادة الحق وعدلوا عن بيعة إمام الأمة وحكَّموا العصبية والهوى في أمرهم ولم يرجعوا الى الشريعة وحكم الإسلام وهو قوله "فجاروا عن وجهتهم وعوَّلوا على أحسابهم"، قال ابن أبي الحديد: والإشارة الى بني أمية وأمرائهم الذين اتهموا عليا بدم عثمان فحاموا عن الحسب ولم يأخذوا بموجب الشرع.

ويؤكد هذا المعنى في موضع آخر بأن فتنة المصاحف ورفعها على أسنة الرماح لم تكن بدافع الإذعان الى الحق والعدول عن البغي وإنما كانت بدافع الشعور بالهزيمة والانكسار لاشتداد جزع الرجال من تتابع الضرب والمجالدة وكثرة القتلى ووقوع القضاء المبرم بفناء القوم واستئصالهم على يد علي وأصحابه وهو قوله "وكأني بجماعتك تدعوني جزعا من الضرب المتتابع والقضاء الواقع ومصارع بعد مصارع الى كتاب الله" ٦٠/١٥.

- **التضاد** :يعد التضاد من أكثر الأساليب فاعلية فيخلق البنى النصية الإبداعية، التي تستدعي حضورا فكريا ونفسيا للمتلقي في النص الإبداعي ،لما يحدثه منخرقأ وانحراف في بنية النص قادر على إحداث خرق من نوع

آخر،هو خرق في أسلوب التفكير عند المتلقي والتحرر من سلطان المألوف والطبيعي، وهو ما يدفع به إلى مزيد من التفاعل معا لنص ويستدعي منه حضوا ذهنيا متميزا للكشف عن أغوارا لنص ودلالاته بمزيد من التأمل والتفكير.

ورد التضاد في قول علي (عليه السلام): " ولا المحق كالمبطل ولا المؤمن كالمدغل"٦٤

يظهر من سياق النص أن الإمام (عليه السلام) عمد الى تصنيف المسلمين على ثلاثة أصناف أو طبقات، وهذه الأصناف هي (أهل البيت) و(المهاجرون والأنصار) و (عامة المسلمين) وهذا الصنف الأخير ينقسم بدوره على قسمين، قسم أسلم عن عقيدة صادقة وبمحض إرادته والقسم الآخر أكره على اعتناق الإسلام إما إبقاء على نفسه وإما طلبا للمال أو المنصب أو الذكر الحسن بعد أن اتسعت رقعة الإسلام وعلا شأنه وقوي سلطانه، وهذا معنى قوله "ولا الصريح كاللصيق"، قال ابن أبي الحديد: الصريح هو من أسلم اعتقادا وإخلاصا أما اللصيق فهو من أسلم بحد السيف أو رغبة في الدنيا٦٥. فأين هؤلاء المكرهون وأنت يا معاوية منهم من أهل بيت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأهل السبق والفضل من المسلمين ممن حاز سبق الهجرة أو فضل النصرة؟ وأين أصحاب اليقين والإيمان من أصحاب الشك والنفاق؟! لقد بني النص لى الضدية بين فريقين أو صنفين، علي وأصحابه ومعاوية وأصحابه، وعلى النحو الآتي:

إنَّ لنا يا معاوية سهم النبوة ..... ولكم سهم الشيطان

وفينا المهاجر ..... وفيكم الطليق

وفينا المؤمن ..... وفيكم المنافق

وفينا المحق ..... وفيكم المبطل

وفينا الصريح ..... وفيكم اللصيق

وفينا أتباع الآخرة .....وفيكم أتباع الدنيا

فأين أنتم يا معاوية منا؟ وأين هؤلاء من أولئك؟ وأين أصحاب الجنة من أصحاب السعير؟ فالفرق بيننا وبينكم شاسع والفضل لعمري بائن وإن القياس على هذا النحو لاريب باطل.

وفي قوله " تعظمونه بألسنتكم وتجحدونه بقلوبكم"٦٦

الغرض من النص تأكيد نفاق القوم، وذلك أنه لما كانت حقيقة الإيمان إعتقادا في القلب وإقرارا في اللسان وكان هؤلاء يلهجون بالقرآن ويظهرون تمسكهم به ويزعمون أنهم يحتمون إليه وهم في سرائرهم ينكرونه ويكفرون به ويعملون بخلاف ما جاء به ودعا إليه بقصد تفريغه من مضامينه من قول العرب: أرض جحدة أي يابسة لا نبات فيها، جاء الإنكار القلبي في قوله " تجحدونه بقلوبكم"ليؤكد أن القوم لم يؤمنوا بالله طرفة عين أبدا ولم يهتدوا بهدي القرآن ومضامينه السامية وأنهم قد مردوا على النفاق إذ يظهرون خلاف ما يبطنونه ويعتقدون به. وجاءت الصيغة المضارعة في قوله (تعظمونه- تجحدونه) للإفادة من الزمنية المفتوحة لقراءة الأحداث والتنبؤ بالمستقبل وبيان أسلوب العدو ومنهجه واسترتيجيته في التعامل مع القرآن في إشارة الى الصراع الأزلي بين الحق والباطل أو أتباع القرآن وأتباع الهوى، ولعله في صدد الإشارة الى صلح الحسن (عليه السلام) ومعاوية الذي دعا إليه الأخير في الظاهر ثم تنصَّل عن مضامينه وأفرغه من محتواه. ولعله أراد بقوله (تعظمونه- تجحدونه) الإشارةالى أصحاب الظاهر ممن يتمسكون بظواهر النصوص وحقائق الألفاظ ولا يلتفتون الى بواطنها ومعانيها العميقة وأغراضها الخفية. وقد أدى التضاد بين (تعظم ونهب ألسنتكم)و (تجحدونهب قلوبكم) الى إحداث خرق في البنية وكسر التوقعات لزيادة التأثير في المتلقي لتحقيق الاستجابة المطلوبة:

تعظم و نهب ألسنتكم ..... • تقر ونهب
قلوبكم

• تعرف و نهب قلوبكم
• تهاب و نهب قلوبكم

تعظم و نهب ألسنتكم .....تجحد و نهب
قلوبكم!!
وفي قوله: " فلقد أضحكت بعد استعبار"٦٧
إذ بني النص على المفارقة في التناوب بين الضدين الضحك والبكاء، وفيه إشارة الى قوله تعالى (فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا)٦٨، قال الطبرسي: هذا تهديد في صورة الأمر أي فليضحك المنافقون في الدنيا قليلا لكثرة أحزانها وهمومها وليبكوا كثيرا في الآخرة٦٩، وهذا كلام لا شك يندرج في معرض الوعظ والاعتبار وكأنه تعالى يقول: لا تغتر أيها الإنسان ولا تفرح بما عندك فإنه زائل ولو بعد حين وإنك صائر إلينا وسيطول أمد حسرتك وبكائك على ما فرطت في جنب الله.
إن كلامك يا معاوية وإن كان مبعثا للسخرية والاستهزاء غير أنه لا يخلو من عبرة وعظة، ففي رعونتك وسفاهتك وتماديك في غيِّك وضلالك أحسن المثل لاعتبار غيرك بك ممن يشرأب عنقه لأمر لم يكن له أهلا أو من ليس له في مجالدة أهل الحق صبرا، وهذا لا شك أمرٌ مضحكٌ مبكٍ أو مبكٍ ضحكٌ لاشتماله على دلالات النكاية والاعتبار في آن معا، وذلك أنَ معاويةً قد تطاول في الخطاب وتبجَّح في تركه للبيعة وتنصُّله عن الرحم والعتبى ثم وعيده بالحرب والمناجزة في قوله "وليس لك ولأصحابك عندي إلا السيف"٧٠، فجاء الرد مباغتا والإنكار صريحا في قوله "فلقد أضحكت بعد استعبار متى ألفيت بني عبد المطلب عن الأعداء ناكلين وبالسيف مخوفين؟"، فأغلظ له في الجواب ولب عليه الدعوى رأسا على عقب، وهو قوله " فسيطلبك من تطلب... وأنا مرقل نحوك"، وقد استعمل البنية الفعلية في (فسيطلبك) للدلالة على تغير الأحوال وتسارع الأحداث وتحقيق عنصر المباغتة وامتلاك زمام المبادرة، ثم أردفها باستعمال البنية الاسمية في (وأنا مرقل) لترسيخ المعنى في الذهن والتأكيد على أن وقوع ما أنبأ به أمر كائن لا محالة، وجاء استعمال ضمير التكلم الدال على المفرد (أنا) ولم يقل (نحن مرقلون) لتأكيد الثقة المطلقة بالنفس في معرض إخافة الخصم والتهويل عليه

في إشارة الى أنه (عليه السلام) جيش بكامله وكتيبة لوحده وتذكيره بمواقفه المشهورة في الحروب وأن هيبته لم تزل ترعد الأبطال وتجبنهم عن مواجهته أو الصمود قباله أو يأتي ذلك على سبيل التهكم بالخصم لكون علي (عليه السلام)يقود الجيش بنفسه ويتقدم الكتائب ويصول ويجول في الميدان في حين لا يجرؤ خصمه معاوية على ترك مقره أو محميته والمغامرة بنفسه في الدخول الى الميدان ومواجهة الفرسان، فكيف لمن هذه حاله أن يملك زمام المبادرة ويتوعَّد عليا رجل المواقف الصعبة وأصحابه الأشاوس بأنه سيحكِّم فيهم سيفه؟!! ولذلك أنكر عليه قوله وقلب له الأمر ظهر المجن وأخذ يتوعده بجحافل من المهاجرين والأنصار وهم متسربلون سرابيل الموت أحبُّ الحسنيين إليهم لقاء الله عز وجل.

م٤ دلالات صيغ الأفعال :

- **صيغة (أفعلَ)**:

وردت صيغة (أفعلَ) في قول علي (عليه السلام):" أغريت بها السفهاء"٧١ إذ أفادت الدلالة على السلب، أي لقد رفعت عنه الحصانة وأزلت الحشمة عن جبَّة خلافته، أو تكون جاءت للدلالة على الاستحقاق، أي لقد أفتيتَ بجواز عزله عن كرسي الخلافة استحقاقا لإيقاعه الحيف على الرعية وارتكاب الأخطاء وإتيان المفاسد في إدارة شؤونهم.

- **صيغة (افتعلَ)**:

وردت صيغة (افتعل) في قول علي (عليه السلام): " فذكرت أمرا إن تم اعتزلك كله"٧٢التي أفادت معنى الإظهار والإعلان، أي لقد أدار عنك وجهه وجعل بينك وبينه قطيعة وأبعدك عن ساحته وأخرجك من محيطه واجتثك من جنسه فذاك أمر لا حظَّ لك ولا لرهطك فيه، وأين أنتم من المهاجرين الأولين حتى تقدموا وتؤخروا؟ وما أنت وترتيب درجاتهم وتصنيف طباقاتهم؟ لقد أنكر عليه الإمام (عليه السلام) تعرضه لأعلام المهاجرين والتجرؤ على المفاضلة بينهم إنكارا شديدا بدلالة التنكير في قوله (أمرا) الذي أفاد معنى التعظيم ثم مجيء (كل) للدلالة على الاستغراق والعموم، فهذا أمر أبعد ما يكون عنك وإنَّ قدرك لَيصغرُ

أن تتعرض لمثله وأن تفاضل بيني وبين من ذكرت.

- **صيغة(تفعّلَ)**:

وردت صيغة (تفعّل) في قول علي (عليه السلام): " "فتألّوا على الله فأكذبهم "٧٣ التي أفادت معنى الإظهار، أي تجاهروا بالقسم على الله تجبرا واقتدارا فأعقبهم بالخزي والخذلان بأن وقع خلاف ما راموا إليه وأقسموا عليه بدلالة (فاء العطف) التي أفادت معنى التعقيب، وذلك لأن قدرة الله فوق قدرة مخلوقاته وإرادته نافذة فيهم وسيفه مسلّط عليهم على سبيل القهر والإذلال فهو المهيمن ذو العزة الملك القهار وأنه سبحانه يمقتُ التطاول عليه ويعاقبُ عليه في الدنيا فضلا عن عقاب الآخرة .

- **صيغة(انفعلَ)**:

وردت صيغة (انفعل)في قول علي (عليه السلام):" وقد انقطعت الهجرة"٧٤ التي أفادت الدلالة على مطاوعة (فعلَ)، أي لقد قضى الله يوم الفتح بانقضاء أمد الهجرة وبداية عهد جديد، وفيه لون من السخرية بالمخاطب لكونه من أبناء الطلقاء فلا معنى أن يدعي نصرة المهاجرين إياه ووقوفهم في صفه، فقد اتضح كذبه وبانت حيله وأمانيه ولم تعد تنطلي إلاّ على نفر من الجهال والسفهاء، ولذلك أغلظ الإمام (عليه السلام) في الرد عليه بما يناسب الموقف منكلا به معيِّرا إياه بكفر أبيه ورهطه وأسر اخيه (يزيد) في فتح مكة، فما أبعدك عن ذكر الهجرة والمهاجرين وقد انقطعت الهجرة تزامنا مع اعتناقكم الإسلام مكرهين يوم أسر أخوك وهو على الشرك، فقد أتيت بفرية فضحت بها نفسك وكشفت عن خداعك وأراجيفك، إذ ليس في جيشك مهاجر وإنما جلُّ أنصارك من أبناء الطلقاء وممن أسلم بعد عام الفتح.

- **صيغة (تفاعلَ)**:

ورد تصيغة (تفاعل) في قول علي (عليه السلام): " أمن استنصره فتراخى عنه" ٧٥التي أفادت معنى الاتخاذ، أي لقد اتخذ التباطؤ والتراخي مطية لبلوغ مرامه وتحقيق ما يصبو إليه بأن خذل صاحبه وتخلى عنه وتماهل في طلبه وعزف عن

نصرته بعدما كتب إليه ليدفع عنه ويستنقذه. إن اتهام الإمام (عليه السلام) لمعاوية بأنه سعى في قتل عثمان في قوله " وبث المنون إليه" يعللُ إما بتخلّيه عن نصرته وخذلانه حتى يواجه مصيره الذي آل إليه أو لكونه هو الذي خطط للأمر لإدراكه بأن وجوده صار مهددا وإمارته أصبحت في خطر شديد إذا ما تراجع الخليفة عن سياسته وعزم على إصلاح ما أفسده بعزله لمعاوية عن ولاية الشام أو إبعاده بني أمية عن التدخل في شؤون الحكم والرعية.

كما وردت في قوله " تتلاطم بهم الشبهات"٧٦ إذ أفادت معنى المشاركة، أي لقد أخذت الشبهات تعصف بهم يمينا وشمالا لكثرتها وقوة تأثيرها حتى صارت كأنها تتلاطم وتتصارع في فكرهم ومخيلتهم كما أن أمواج البحر لسرعة التيار وشدة هيجان البحر يضرب بعضها بعضا فكذلك الشبهات تداخلت وتزاحمت عليهم حتى عصفت بهم الحيرة وانقادوا الى أهوائهم فحادوا عن وجهة الحق وتركوا الدين وأخلدوا الى الحمية والعصبية.

- **صيغة(استفعل)**:

وردت صيغة (استفعل) في قول علي (عليه السلام):ما استبدلت دينا ولا استحدثت نبيا"٧٧إذ أفادت معنى التحول، أي لم أزل ثابتا لم تحرِّكْني الأهواء ولم تعبث بي الشبهات وإنما اسير على طريق واضح مستقيم وأنهل من نبع صاف وهو دين الله القويم الذي أرغمتم على الدخول فيه بحد السيف مكرهين مرتابين. وفيه إشارة الى قوله تعالى (ومن يتبدل الكفر بالإيمان فقد ضل سواء السبيل)، أي لا أرتاب في ديني ولا أستبدل الكفر بالإيمان ي معرض التعريض بمشركي قريش الذين سألوا النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يجعل لهم جبل الصفا ذهبا. ولتأكيد هذا الثبات على الموقف جاءت البنية الاسمية في قوله " وذلك السيف معي" و" إني لعلى المنهاج"مع استعمال أداتي التوكيد (إنَّ) و (لام الابتداء) الداخلة على خبرها فضلا عن (ما) النافية في قوله (ما استبدلت) و (لا) الزائدة لتوكيد النفي في (ولا استحدثت)، أي إنما أقاتلك اليوم بالسيف الذي قاتلت فيه آبائك إذ كنتُ في طريق الهدى، وأنا ماض عليه، في حين كان آباؤك في طريق الضلال، وأنت اليوم

سائر فيه، ولقد كنت قاتلتهم على إعلاء راية الإسلام وأنا أقاتلك اليوم على المحافظة عليه والتقيُّد بمبادئه وتطبيق تعاليمه وأحكامه.

كما وردت في قول معاوية " واستغويت عصابة من الناس"٧٨إذ أفادت معنى الطلب، أي لقد عملت برفق ودهاء شديدين على إغواء الناس وتغيير وجهتهم وجرِّهم الى ساحتك وسعيت في إفساد أمر البيعة وكانت لك اليد الطولى في الطعن والتأليب عليها من قولك، من قولهم طلبتَ الأمر إذا هيَّأتَ له واستفرغتَ جهدك في طلبه.

نتائج الدراسة:

خلصت الدراسة الى ما يأتي:

١. إن أهم ما يميز المكاتبات التي جرت بين علي (عليه السلام) ومعاوية أن كلّا منهما يلزم الآخر برؤيته إزاء الأحداث والمواقف التي شهدتها الأمة في ذلك العصر على سبيل الوعظ والإرشاد تارة والتهديد والوعيد تارة أخرى والمفاخرة والمنافرة ثالثة والمناظرة والاستدلال رابعة وتوظيف النص الديني خامسة، وأبرز تلك الأحداث والمواقف التي تباريا فيها في مكاتباتهما الموقف من الخلافة والخلفاء السابقين وحادثة مقتل الخليفة عثمان وتداعياتها فضلا عن موقفهما من الصراع العسكري الدائر بين الفريقين.
٢. تضمنت المكاتبات توظيف أسلوب الطلب للتعبير عن المعاني المقصودة لكونه أبلغ من الأسلوب الخبري في إثبات المعاني وتاكيدها.
٣. خرج أسلوب الأمر في النصوص عينة الدراسة عن معناه الحقيقي الى دلالات مجازية عديدة أهمها

التعجيز والإشفاق والنهي والتمني والندب.

٤. خرج أسلوب النهي في النصوص عينة الدراسة عن معناه الحقيقي الى دلالات مجازية عديدة أهمها التهديد والتوبيخ والوعظ والإرشاد.
٥. خرج أسلوب الاستفهام في النصوص عينة الدراسة عن معناه الحقيقي الى دلالات مجازية عديدة أهمها التهديد والتوبيخ والوعيد والإنكار.

٦. ورد أسلوب القسم في النصوص عينة الدراسة بصيغ مختلفة بحسب غرض المتكلم أهمها القسم بلفظ الجلالة وبالفعل (أقسم) وباللفظ (عَمْرُ) بوصفه من الألفاظ التي يغلب استعمالها في القسم في كلام العرب.
٧. وُظِّفَ أسلوب التنكير في النصوص عينة الدراسة للدلالة على معان عديدة أهمها التعظيم والتهوين والتعجيز والتفرُّد.
٨. وُظِّفَ أسلوب التقديم في النصوص عينة الدراسة لتحقيق أغراض واعتبارات بلاغية أهمها التخصيص والتشويق والقصر وتقوية الحكم وتأكيده والعناية باللفظ المقدم والاهتمام بشأنه وتسليط الضوء عليه.
٩. وُظِّفَت البنية الاسمية في النصوص عينة الدراسة انطلاقا من دلالتها المركزية على الثبوت والاستقرار لتحقيق غاية نفسية تتمثل في إظهار الثقة العالية في معرض الفخر والاعتداد بالنفس من جهة علي (عليه السلام)، أما من جهة معاوية فلإضافة جرعة معنوية لإعادة ترتيب الأوراق والظهور بمظهر القوة والقدرة على التحدي والمواجهة.
١٠. وُظِّفَت البنية الفعلية في النصوص عينة الدراسة انطلاقا من دلالتها المركزية على التحول والتغيير لتحقيق غاية نفسية تتمثل في توفير الجرعة اللازمة للانتقال من الوضعية الدفاعية الى وضعية الهجوم أو مقصد دلالي يتمثل في تغطية البعد الحركي للنص.
١١. وُظِّفَت صيغ الأفعال في النصوص عينة الدراسة للدلالة على معان عديدة يفرضها المعنى الكلي للنص ويستدعيها غرض المتكلم، إذ أفادت (أفعلَ) الدلالة على السلب والاستحقاق وأفادت (انفعلَ) مطاوعة (فعلَ) وأفادت (افتعلَ) و (تفعَّلَ) الدلالة على الإظهار والإعلان في حين أفادت (تفاعلَ) معنى الاتخاذ والمشاركة أما (استفعلَ) فدلَّت على التحول والطلب.

Abstract

Remember our history and correspondence crucial correspondence between Ali and Muawiya reflect the position of each of the political events that took place in the Islamic nation that

historical era and style in the management of the conflict between the two, which were written in a powerful and influential graphic style.

The researcher tried to shed light on aspects of the stylistic and technical aspects of the texts of those correspondence , and crystallized in five sections , I dealt with the study methods (command , forbidding , question , section , indefinite) , addressing the second aspect of synthetic texts correspondence of (introduction, connectivity , infrastructure nominal , the actual structure) , and singled out the third study the patterns of the technical picture (simile , metaphor , antithesis) , while the fourth singled devising connotations tenses , while the fifth has dealt with the impact of the Koran in the texts of correspondence in terms of (words , compositions , pictures). The researcher adopted the analytical approach to clarify the implications of the texts and the disclosure of the purpose of the speaker and the statement of the purposes of speech .

The researcher found the results of several Ibzha that what distinguishes those correspondences that they both needed the other to see him about the events and situations witnessed by the nation in that era, Kalmoagaf of the Caliphate and caliphs former and the murder of Caliph Uthman and its aftermath as well as the stance of the military conflict between the two teams, also saw the correspondence the presence of intertextuality with pictures of the Koran, which is effectively a reflection of the need for technical or graphic on the destination of preaching or indicative of a very semantic is included in some Islamic concepts which necessitated the context of the speech and the subject almkatebh.

هوامش البحث

١شرح نهج البلاغة(ابن أبي الحديد): ١٠٣/١٧

٢نفسه : ٦٠/١٥

٣نفسه : ١٦/ ١٠٥

٤نفسه : ٨٩/١٥

٥نفسه :٨٩/١٥

٦نفسه :٦٠/١٥
٧نفسه :١٠٣/١٦
٨نفسه : ٦٠/١٥
٩نفسه : ٦٠/١٥
١٠ظ : لسان العرب ، مادة (رين).
١١سورة المطففين: ١٤
١٢ظ: الكشاف : ٧٢١/٤
١٣شرح نهج البلاغة: ١٠٤/١٦
١٤نفسه: ٦٢/١٥
١٥ظ : لسان العرب، مادة (طبع).
١٦شرح نهج البلاغة : ١٩٠/١٧
١٧ظ: نفسه : ١٤/١٨
١٨سورة النساء، آية ١٥٥
١٩ظ: البحر المحيط: ٤٠٣/٣
٢٠سورة النحل، آية ١٠٨
٢١شرح نهج البلاغة : ١٠٤/١٦
٢٢نفسه: ١٠٤/١٦
٢٣سورة الحجر، آية ٧٢
٢٤سورة النور، آية ٥٥
٢٥سورة الأنعام، آية ١٤٦
٢٦سورة فصلت، آية ٢٧
٢٧شرح نهج البلاغة : ٤٨/١٨
٢٨نفسه : ٥٠/١٨
٢٩نفسه : ١٣٧/١٥
٣٠ظ: لسان العرب، مادتا (ذكر) و(مجج).
٣١شرح نهج البلاغة : ١٣٧/١٥
٣٢سورة النجم: ٣٢

٣٣شرح نهج البلاغة : ١٣/١٧
٣٤سورة المائدة، آية ٥٥
٣٥شرح نهج البلاغة: ١٤١/١٥
٣٦نفسه : ٧/١٦
٣٧نفسه : ٦٠/١٥
٣٨نفسه : ١٣/١٧
٣٩سورة الأنفال، آية ٦١
٤٠شرح نهج البلاغة : ١٣/١٧
٤١نفسه : ١٠٤/١٦
٤٢سورة مريم، آية ٩٦
٤٣شرح نهج البلاغة : ١٠٤/١٩
٤٤نفسه : ١٠٣/١٦
٤٥نفسه : ١٠٥/١٦
٤٦نفسه : ١٩٢/١٧
٤٧سورة المائدة، آية ٥٤
٤٨شرح نهج البلاغة : ١٠٢/١٦
٤٩نفسه : ١٣٩/١٥
٥٠نفسه : ١٤١/١٥
٥١ظ :علمالبيان،مصطفىهدارة : ٣٣ .
٥٢أساليب البيان، فضل حسن عباس، ط٢، ٢٠٠٩م :٢١٨
٥٣ظ: أسرار البلاغة: ٩٢-٩٣ (بتصرف).
٥٤شرح نهج البلاغة : ١٠٣/١٦
٥٥نفسه : ١٤١/١٥
٥٦نفسه : ١٤١/١٥
٥٧نفسه : ١٤١/١٥
٥٨ظ : قضايا الشعرية :١٥٨
٥٩ظ : الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية، مجيدعبدالحميدناجي،ط١، ١٩٨٤م :١٠٧.

٦٠ظ : نظرية البنائية، صلاح فضل، ط ١ ١٩٨٨ م :٣٥٩.
٦١شرح نهج البلاغة: ١٣٩/١٥
٦٢نفسه: ٦٠/١٥
٦٣نفسه : ١٠٢/١٦
٦٤نفسه:١٣٨/١٥
٦٥نفسه : ٩٩/١٥
٦٦نفسه : ٨٩/١٥
٦٧نفسه : ١٣٩/١٥
٦٨سورة التوبة، آية ٨٢
٦٩ظ: مجمع البيان: ٧٧/٥
٧٠شرح نهج البلاغة : ١٥/ ١٤١
٧١نفسه : ١٣٧/١٥
٧٢نفسه : ١٣٨/١٥
٧٣نفسه : ١٠٢/١٦
٧٤نفسه : ١٣/١٧
٧٥نفسه : ١٤/١٧
٧٦نفسه : ١٩٠/١٧
٧٧نفسه : ١٠٣/١٦
٧٨نفسه : ١٩٠/١٧

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

- أساليب البيان: فضل حسن عباس، دار النفائس- عمّان، ط٢، ٢٠٠٩م.
- أسرار البلاغة في علم البيان : عبد القاهر الجرجاني ، تصحيح وتعليق محمد رشيد رضا، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط١ ، ١٩٨٨ م .
- الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية: مجيد عبد الحميد ناجي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع- بيروت، ط١، ١٩٨٤م.

- البحر المحيط: محمد بن يوسف بن علي بن حيان الأندلسي، دار الكتب العلمية- بيروت، ط١، ٢٠٠١م.
- شرح نهج البلاغة: عز الدين عبد الحميد بن هبة الله مدائني، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتاب العربي- بغداد، ط١، ٢٠٠٥م.
- علم البيان: بدوي طبانة، مكتبة الأنجلو المصرية- القاهرة، ١٩٦٢م.
- قضاياالشعرية: رومان ياكبسون، ترجمة محمد الولي ومبارك حنوز، دار الوثائق للنشر، ط١ ، ١٩٨٨م.
- لسان العرب: أبو الفضل محمد بن مكرم بن منظور المصري، دار صادر- بيروت.
- مجمع البيان في تفسير القرآن: أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، دار العلوم، بيروت، ط١، ٢٠٠٥م.
- نظرية البنائية في النقد الأدبي: صلاح فضل، دار الشروق- القاهرة، ط ١، ١٩٨٨م.